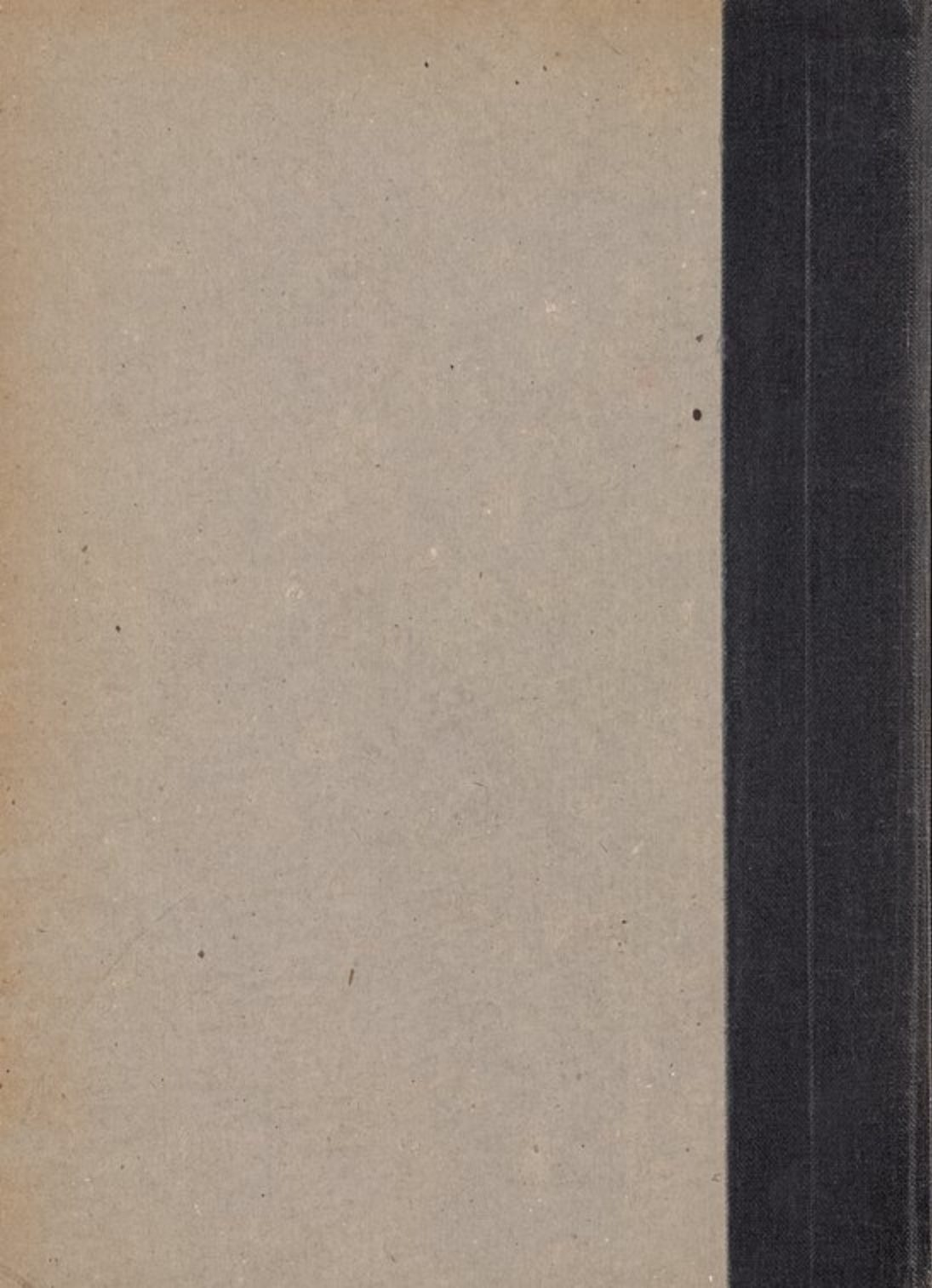




2272.698027.368

Nadvī

al-Muslimūn fī al-Hind

2272
698027
368

DATE	ISSUED TO
	4 0269 3
04 16 0	L C BROWN 9 3
05 15 6	L C BROWN 9

[illegible]

PRINCETON U.



a32101 006273278b

أبو الحسن علي الحسيني الندوي

المسلمون في الهند

مكتبة دار الفتح بدشت

Nadwi, Abulhasan 'Alī

al-Muslimūn fi al-Hind

المسلمون في الهند

Property of
Princeton University
Library

ابو الحسن علي حسني الندوي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

و

معتد دار العلوم ندوة العلماء بالهند

نشر وتوزيع

مكتبة دارالفتح بدمشق

شارع سعد الله الجابري

ص. ب. ٤٧٥

2272

· 698027

· 368

حقوق الطبع محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لكتاب للاستاذ علي الطنطاوي

ما طلت الناشر بهذه المقدمة ثلاثين يوما ، أبتغي بها ساعة صفاء والهام ، فلما ضاق الوقت ، وبدأ الطبع ، كتبتها على عجل في ثلاثين دقيقة .

كنت أريد أن أجعلها صفحات من الفن البارع الاصيل ، فجاءت سطورا من الذهن الخامد الكليل .

و كنت أريد أن أودعها خلاصة ذكرياتي عن الهند وأن أصب فيها كل ما في نفسي لآخي وسمي أبي الحسن ولكنها صادفت أيام الانتخابات ، التي جاءت بها هذه الثورة الموفقة ، وما تتابع عليّ من مشاغل ومشاكل ، أرهقت جسدي ، وأتعبت قلبي ، وفرفت المجتمع من فكري ، وأثقلت القلم في يدي ، فحزن عليّ وقد كان العهد به أن يجري جريان فرس السباق ، وكبا في اول الحلبة ، وقد كان (ولا فخر) سباقا الى الغاية ، فعدت وكأني من العي لم أسود به من قبل صحيفة ، ولم أخط به سطرا .

فيا أخي أبا الحسن ، ويا اخوتي القراء ، معذرة .
ويا رب غفرآ .

ومثل أبي الحسن لا يحتاج الى أن يقدم كتابه الى القراء

أحد ، أن اسمه عليه يغنيه عن كل تنويه به ، ولكنه أراد أن يوليني هذا الشرف ، وأن يقرن اسم العليين معا باسم المسلمين في الهند دليلا من الأدلة على أن الاسلام يجمع الاخوان ، وان تفرقت بهم البلدان ، وان كان هذا الامر لا يحتاج الى دليل .

ولقد كنت أعجب حين أقرأ لأبي الحسن ، فأجد لرجل من الهند هذا الاسلوب البليغ ، وهذه الاصاله وهذا الطبع ، ثم زال العجب لما ظهر السبب ، وعلمت أن أبا الحسن عربي صريح صحيح النسب كالاصبهاني مؤلف الاغاني ، والايوردي الشاعر ، وهما قرشيان امويان ، والفيروز ابادي صاحب القاموس ، وان خبر عربيته متواتر مستفيض في الهند ، فمن هنا جاء هذا البهتان الذي قل نظيره في هذه الايام .

وقد يشتغل غير العربي بعلوم العربية ، حتى يكون اماما فيها ، في اللغة والنحو والصرف والاشتقاق ، وفي سعة الرواية ، بل ان أكثر علماء العربية كانوا (في الواقع) من غير العرب ، ولكن من النادر ان يكون فيهم من له مثل هذا (الذوق الادبي) الذي تعرفه لأبي الحسن . فلو لم تثبت عربيته بصحة النسب ، لثبتت باصالة الادب .

واذا كان الدليل على ذوق الاديب اختياره ، فحسب القراء أن يعلموا ، أننا عرضنا من أمد قريب كتب المختارات الادبية ،

لتخير واحدا منها نضعه بين أيدي تلاميذ الثانويات الشرعية في الشام ، وذهب كل واحد من اعضاء اللجنة ، وكلهم من الادباء ، يبحث ويفتش ، فعدنا جميعا وقد وجدنا أن أجود كتب المختارات المدرسية ، وأجمعها لفنون القول والوان البيان ، مختارات أبي الحسن •

ولقد كنت أتمنى من قديم أن نخرج بتلاميذنا من هذا السجن الضيق المظلم الذي حشرناهم فيه ، الى فضاء الحرية ، والى ضياء النهار ، فلا تقتصر في الاختيار ، على (وصف الكتاب) للجاحظ ، وهو جمل مترادفة ، لا تؤلف بينها فكرة جامعة ، ولا يسدها روح ، ولا تخالطها حياة ، وعلى الأعيب ابن العميد ، وغلاطات الصاحب ، وهندسات القاضي الفاضل ، فننفر التلاميذ من الادب ، ونكرهه اليهم ، وكنا نقول لهم ان البيان الحق عند غير هؤلاء ، وأن أبا حيان التوحيدي أكتب من الجاحظ ، وان كان الجاحظ ، أوسع رواية ، وأكثر علما ، وأشد تصرفا في فنون القول ، وأكبر استاذية ، وان الحسن البصري أبلغ منهما • وان ابن السماك أبلغ من الحسن البصري ^(١) •

وان النظر فيما كتب الغزالي في الاحياء ، وابن خلدون في المقدمة ، وابن الجوزي في الصيد ، وابن هشام في السيرة ، بل

(١) قد تبدو هذه الاحكام غريبة على من ألف التقليد في الادب وعكف عليه ، ولكنها حق ، كما ان من الحق أن أبا تمام اشعر من المتنبي واعظم •

والشافعي في الأم ، والسرخسي في المبسوط ، أجدى على التلميذ
وأنتفع له في التأدب ، من قراءة حقايق صاحب ، ومخرقات
الحريري وابن الاثير •

وكتب في ذلك مرارا ، فما التفت الى ذلك أحد ، فيست منه ،
حتى وجدت كتاب أبي الحسن ، فاذا هو قد تفض كتب الادب
والتاريخ تفضا ، وحرثها حرثا ، فاستخرج جواهرها ، فأردعها
كتابه •

ولست أقول أنني أنا صاحب الفكرة ، أو أنه أخذها مني • •
لا ، ولعله (وهذا ما أرجحه) ما قرأ شيئا مما كتبت أنا ولا
غيري في هذا الموضوع ، ولكنه الذوق الادبي المرفه ، والطبع
العربي الاصيل •

وأبو الحسن استاذ في فنون كثيرة ، في الكتابة ، وفي البحث
وفي التاريخ ، وفي الدعوة ، وفي الفقه والنزاهة والتخلق بأخلاق
العلماء ، وهو فرع كرم من أصل كريم ، أبوه مؤرخ الاسلام في
انهند ، واخوه من صدور الاطباء والعلماء ، وأسرته اسرة شرف
وعلم ، وهو احد اركان ندوة العلماء ، واليها نسبته • وندوة
العلماء ، أجلّ من أن نسر بها مّرا ، ولا بد من وقفة عليها ، لنعرف
بها من لا يعرفها ، من القراء •

ولقد رحلت من سنوات رحلة قطعت فيها في الذهاب والاياب ،
أكثر من ثلاثين الف كيل ، مشيت فيها من دمشق الى سورابايا

(في آخر جزيرة جاوا) ودخلت فيها كثيرا من المدن الكبار ، فما
رأيت في ذلك كله موضعا تمنيت من اعجابي به ، أن أقيم فيه ، الا
مدرسة الندوة ، في لكنو .

وما أدري لم شبهت لكنو بدمشق ، واحسست وانا فيها
كأنني في بلدي ، أمن أنهرها ، وكثرة بساطينها ؟ أم لاني أحسست
فيها من كرم أبي الحسن كأنني في موطني ، وبين أهلي ؟

ولقد كانت كلكته أول مازرنا من بلاد الهند ، مررنا بها
في طريقنا الى الشرق الاقصى ، وفي عودتنا منه ، وكلكتا مدينة
عظيمة ، ربما كانت خامسة مدن الارض ، كثرة سكان ، لان
فيها كما قالوا خمسة الاف الف ، وخمسمئة الف ، ولكنها
بلدة كئيبة قديمة ، وخرجنا منها فقطعنا عرض الهند الى بومباي
وبومباي من أجمل بلاد الدنيا واكبرها ، لها ساحل متعرج يدخل
فيه البر في البحر ، والبحر في البر ، فلا ترى الا رأسا بارزا
أو خليجا والجا ، أو برزخا معترضا ، وعلى الساحل جبل قائم ،
يلبس حلة من غرائب الاشجار ، وعلى ذروته حديقة معلقة
ومقبرة معلقة ، هي احدى عجائب الزمان لانها لقوم من مجوس
الفرس ، لا يدفنون امواتهم مثلنا ولا يحرقونهم كالهندوس ، بل
يعرضونهم للطير والحيوانات تأكل لحومهم حتى تذهب بها كلها .
وفي بومباي العمارات الكبار التي تجمع الجمال والجلال ،
ثم رجعنا منها الى دهلي ، ودهلي مدينة عظيمة يحس من يدخلها انه

في بلدة اسلامية ، من كثرة مساجدها وقبابها ، وفيها المسجد
الجامع وهو من أعظم مساجد الارض اليوم ، وامامه القلعة الحمراء ،
وهي درة من درر العمران على الارض ، بناها شاهجان باني (تاج
محل) اجمل ابنية الدنيا بلا جدال .

فما احببت من ذلك كله بلدا ، ولا من بلدان جاوا (جنة
الارض) مثلما احببت لكنو .

وكنا كلما دخلنا في رحلتنا بلدا ، نجد من يستقبلنا فيه
ويدلنا ، وكنا نرغب ان نجد (لكنو) من الرعاية والعناية ،
ما لم نجده في غيرها ، لانها بلد الصديق ابي الحسن ، فنزلنا
من الطائرة مطمئنين (وكنا اثنين أنا والاستاذ الجليل بركة العصر
الشيخ امجد الزهاوي شيخ علماء العراق) ، فتلقتنا فلم نر احدا ،
فضاق صدر الشيخ فطمأنته ، وكان الركاب قليلا ، فتمت
(المعاملات) في نصف ساعة ، ورحنا الى السيارة لتحملنا الى
البلد ، وما رأينا ابا الحسن ولا احدا من جماعته فغضب الشيخ
وحررت أنا ماذا أصنع ، لاني لا أعرف (ولا الشيخ يعرف) كيف
نخاطبهم ، فعمدت الى الاشارة وهي لسان من ليس له لسان ،
ولغة الخرس جميعا في كل عصر ، وقررتا بها الكلمة التي تفهم في
كل مكان : كلمة (اوتيل) ، ففهموا منا واثاروا الى السيارة .

واخترقت السيارة البلدة ، ثم خرجت منها ، وصرنا بين
البساتين ، فشككت واعدت على جاري في السيارة كلمة (الاوتيل)

وقلبت كفي اشارة السؤال ، فhez رأسه ورطن بما لهم أفهم ،
واشار الى قدام ، ففهمت ان الفندق امامي .

ووقفت السيارة في مكتب الشركة وكان في فندق فخم
ضخم ، من أفخم وأضخم مارأيت من الفنادق ، اسمه فندق
كارلتون وله أجنحة طويلة تظللها بواشق اشجار الهند ،
تقفز عليها القروود من كل نوع ، تلعب وتتقلب وتخطف ما تصل
اليها من الطعام ، وهم لا يمسونها لانهم يحرمون قتل الحيوان ،
تطل غرفه على بحر من الخضرة ، فيه الاشجار الكبيرة المزهرة ،
التي لا نعرف مثلها في بلادنا ، وكل غرفة منها بمقدار شقة من
دار ، فيها الفرش العالي ، والاثاث الثمين ، وفي كل غرفة
مرافقها كلها ، فنزلنا فيه ، ولكننا كنا فيه كالمسجونين ظلماً ،
لانعرف ماذا نصنع ، ولا ندرى أين تتوجه ، ولا نجد من نسأله
عن ابي الحسن .

وهطلت الامطار ، لا كالامطار التي نعرفها في بلادنا ، ولكنها
قرب تنصب ، وسماء تتفتح ، فتضع في دقائق ، مالا تضعه أمطارنا
في ساعة ، واستمرت الى الليل ، ثم وصلت الليل بالنهار ، والنهار
الثاني بالليل ، والليل الثاني بالنهار . ولبشنا على ذلك ثلاثة ايام ،
ونحن محبوسون في قصر انيق جميل المنظر ، بارع البنيان ولكنه
كان علينا سجننا ، والسجن لا يحب مهما كانت حاله ، وضاق صدر
الشيخ حتى فكر في السفر ، ولم أجد بدا من أن أذهب تحت هذا

المطر ، فابحث عن مخرج ..

وركبت سيارة اجرة وجدتها في الفندق • وقلت له : السى
ندوة العلماء ، فلم يفهم عني ، فقلت بمقدار ما اعرف من اللفظ
الانكليزي : اني اريد مدرسة اسلامية ، فلم أفصح في افهامه ،
فأشرت اليه ان يمشي ، فمشى وجعل يدور في الشوارع والعداد
يسجل وهو يلتفت اليّ فأشير اليه ان يمشي ، لعلي أرى من
أتوسم فيه أنه مسلم فأسأله ، وقد كان ذاك ، فوجدت شابا
وقفت السيارة وسألته ، فأجابني ، واسترشدته فأرشدني •

وما قلت له : السلام عليكم • وقال : وعليكم السلام ورحمة
الله ، وما علمت انه مسلم ، حتى شعرت بشئ ما يشعر به الغريق ،
وجد من ينتشله من الماء ، والمختنق وجد الهواء ، وفرح هو بي
فرح الاخ يلقي اخاه بعد طول الغياب ، وهذه هي اخوة الاسلام ،
التي عقدها الله ، فلا تقوى على حلها يد بشر • وحدثني انهم
كانوا يتوقعون قدومنا بالقطار ، فكانوا يخرجون كل يوم الى المحطة
فاذا لم يجدونا رجعوا ، ما توقعوا ان نجيء في الطائرة •

ومشى بي ، في شارع رحب ، على كتف نهر عظيم ، يقابله
من هناك شارع آخر ، وكانت الامطار قد انقطعت فجأة كما
هطلت فجأة ، فنظرت فاذا على الجانبين ، منظر من امتع ما خلق
الله ، حتى اتهمنا الى ارض منبسطة خضراء ، في وسطها بناء
جميل ، كأنه قصر من قصور الاندلس ، ووراءه بنى متفرقة ، في

ارض واسعة ، في بقعة هادئة ، فيها الاشجار المزهرة والمثمرة ،
والسواقي الجارية ، قال : هذه هي مدرسة ندوة العلماء ، وتلك
الابنية تتبع لها ، وهذه الارض كلها ملكها .

فدخلت فوجدت الاستاذ ابا الحسن ، فلما رأيته ، وثب هو
وتلاميذه اليّ يسلمون عليّ ويكلمونني ، وكلهم يحسن العربية
كلاما وقراءة ، حتى الصغار منهم ، ولقد وجدت طفلا اسمه عبد
المحسن لا يكاد يحسن النطق بلسان قومه وهو يحسن مع ذلك
لسان القرآن ، ولعله قد كبر الان وغدا من طلبة العلم فبلغوه ،
وبلغوا الاستاذ احمد الرابع دليلي في لکنو سلامي .

وشعرت كأني في مدرسة شرعية من مدارس دمشق ، وتيقنت
لما رأيت مناهج الدرس ، وكتب الطلاب ، ان القوم ماشون على
الجادة ، فليس عندهم تفرنج (جامعة عليكره) التي صارت
كواحدة من جامعات اوربة ، وليس عندهم جمود (مدرسة
ديوبند) وهي أزهر الهند ، ولكنهم يأخذون بالنافع من ثقافة
الغرب ، مع الحفاظ على ثقافة الاسلام ، كالدار القائمة على
السفح ، تترفع عن وخامة السهل ، وتنزل عن وعورة الجبل ،
وخير الامور الوسط .

وكنت حين أقرأ أساء هوءاء الاعلام ، سليمان الندوي
أعلم علماء السيرة في هذا العصر ، وأحد أعظم المؤلفين فيها على
مدى العصور ، ومسعود الندوي رحمه الله وأبي الحسن الندوي ،

وتلاميذه ، محمد الندوي ، واجتباء الندوي فكنت أظن أنهم أبناء
أسرة واحدة ، ثم علمت أنهم انما ينتسبون الى الندوة ، وانها
هي أسرتهن وان صلة العلم والادب أقرب فيهم من صلة القرابة
والنسب .

عشت في الندوة اياما ، ذقت متعة النظر ، بمنظر نهرها
وبساتينها ، وراحة الاعصاب ، بهدوئها وسكونها ، ولذة التفكير ،
بالرجوع الى مكتبتها ، وعُيِبَت السعادة عابضجة هؤلاء الاخوة
الكرام ، المسلمين حقا ، الطيبين المخلصين ، الذين احسست وانا
معهم كأنني رجعت الى التاريخ ، فعشت مع المسلمين في الصدر
الاول : اساتذة الدار وطلابها .

وقلت ، هاهنا المقيـل ، فياليتني أحط هاهنا الرحال ، وياليتني
أعيش هنا ، وماذا ابتغي فوق ما أجد فيها ؟ وهل بعد هذا المنظر
الجميل ، وهذه المكتبة الحافلة ، وهؤلاء الصـحب الاخيار ، وهل
بعد جوار أبي الحسن في بلده ، متعة تبتغى أو نعمة تطلب .
ان في الندوة لذات الدنيا ، وحسن ثواب الآخرة ان شاء الله
والذين يعرفون أبا الحسن كثيرون ، ولكنهم رأوه في سياحاته ،
فعرفوه من أدبه وكتبه ومحاضراته ، اما انا فعرفته في بلده
فعرفت كيف يكون بر الصديق ، وعطف الاخ ، وكرم المضيف .

وانا اكتب هذه المقدمة وادفعها الى المطبعة وما يعلم أبو
الحسن ماذا أقول فيها ولو اطلع عليها قبل نشرها ، لما تركني

أمدحه صادقاً بما هو فيه ، لأن ما في طبعه من الحياء ، يمنعه
من قبول الثناء .

.....

وبعد فأنا أكرر الاعتذار ، فما هذا الذي كنت أنوي أن
أقوله ولكن هذه المقدمة جاءت كما قلت في أزمة شئت فكري ،
فلم أقدر على أكثر من هذا الكلام المشتت .

ولا يضر أبا الحسن إلا تكون مقدمة كتابه العظيم ، عظيمة
مثله ، وما ينفعه وجودها ، ولا يضره عدمها ، ولكنه طلب فلم
أملك إلا الإجابة .

ومن فاته أن يستمتع ويتنفع بما كتبت هنا ، فسيجد المتعة
كلها والنفع كله فيما كتب المؤلف في الكتاب .

دمشق . رجب سنة ١٣٨١

علي الطنطاوي

★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

كنت في رحلتي في الشرق الاوسط أواجه سؤالا كان يتكرر ويوجه في كل مجلس وفي كل مناسبة : ما عدد المسلمين في الهند ؟ فأجيب أنهم أربعون مليونا . وهناك يندهش الناس ويندفع بعضهم قائلاً : يا سلام أربعون مليونا ! فلولا ثقتهم بالضيف ولهم لا الجد في الجواب لسارعوا الى التكذيب أو الشك على الأقل ، لانهم ما كانوا ينتظرون بعدما سمعوا عن موجات الهجرة الكبيرة وعدد النازحين الضخم أن المسلمين سيكونون مليونا واحدا فضلا عن أربعين مليونا ، اذن فلا غرابة في استغرابهم .

لقد كانت هذه مفاجأة لاتفارقني أينما حللت ونزلت ، مفاجأة للطرفين ، مفاجأة للسائلين عن عدد المسلمين في الهند ، ومفاجأة للمجيب لاستغرابهم ، وهناك مفاجآت أخرى فيما يتصل بالمسلمين في الهند ، فالذين كانوا يعرفون أن في الهند عددا كبيرا من المسلمين — على قلة هؤلاء — كانوا يعتقدون ان المسلمين لا شأن لهم في هذا القطر العظيم ، وليست لهم حضارة خاصة ، ولا ثقافة واسعة ، ولا آداب سامية ، ولا مؤسسات

علمية ، ولا نشاط ولا إنتاج في العلم والادب ، انما هم كالرعاع أو
أمة قد أفلست في كل مقومات الحياة في كل ما تعتر به أمة من
علم وأدب ، ودين واجتماع ، وأخلاق ومروءة •

بل قد كان بعض الاخوان يسأل هل في الهند مساجد ، هل
فيها مدارس دينية ، هل عندكم علماء ، هل يوجد هناك من يحسن
أن يقرأ القرآن ، هل هناك من يفهم العربية ؟ أسئلة تدل على أن
معلومات اخواننا العرب عن المسلمين في الهند ضئيلة جدا ، وتدل
كذلك على أنه قد أثر تقع كبير حول المسلمين في الهند ، وتدل
كذلك على تقصير علماء الهند في القيام بمهمة التعريف بهذا
القطر العظيم وبهذه الأمة الاسلامية العظيمة التي مثلت دورا
رائعا في تاريخ الاسلام وتاريخ العلم العام ، وأضافت ثروة ذات
قيمة عظيمة الى مكتبة الاسلام العامة ، وأثحت بطرف غالية
تتجمل بها المكتبة العربية وتزدهي بها على سعتها وغناها ،
وتفردت ببعض العلوم الاسلامية التي كانت ولا تزال فيها الهند
زعيمة العالم الاسلامي وحاملة لواءها عدة قرون ، كعلم الحديث
والفقه وأصوله في القديم ، والسيرة النبوية وعلم الكلام ،
والدعوة الى الاسلام في هذا العصر •

وأنجبت الهند رجالا شهد لهم علماء العرب بالفضل وعكفوا
على كتبهم ومؤلفاتهم ينقلون ويقتبسون ويستدلون ويحتجون ،
وقد أنجبت كذلك علماء يندر نظيرهم في الذكاء وخصوبة الفكر

والابتكار العلمي ، وأنجبت كذلك فضلاء لا يضارعون في كثرة المؤلفات والانتاج ، وقد أمتجت من الملوك رجالا يتفردون في حسن سياستهم وتنظيمهم للدولة ، وسن القوانين العادلة ، وفي فضائلهم الخلقية ، والعلمية والعملية ، والجمع بين الدين والدنيا .

ولا تزال الهند مأهولة بشعب مسلم قوي في دينه ، غني في علمه وبرجاله ، مخصب في عقله ، متوقد الذهن نشيط مصمم على الإقامة في وطنه الذي خدمه الف سنة ، وأغناه في العلم والحضارة ، والدين والاجتماع ، وكان من صانعيه .

ان من الجفاء ان تبقى هذه البلاد الغنية برجالها واعمالها وماضيها وحاضرها مجهولة عند اصدقائها في الخارج ، مطبوعة في صفحات التاريخ ، ولكن التبعة في ذلك على أبنائها قبل أن تكون على أصدقائها ، لانهم فَرَطُوا في تقديم هذه البلاد ، وما تمتاز به من فضل وعلم وحياة ونشاط الى الناطقين بلغة الضاد ، وانطوا على نفوسهم وعاشوا في العزلة عن العالم .

ولكنني اذا ذكرت أبناء الهند بالتقصير في جنب بلادهم الام ، فاني أعذر الى روح مؤرخ الهند الكبير الذي خلف لآبناء البلاد العربية مكتبة كاملة في تاريخ الهند ووصفها ، وقام وحده بما تقوم به الجامعات العلمية في أوربا ، برجالها وعثتها ، ألا وهو المرحوم العلامة السيد عبد الحي الحسيني مدير ندوة

العلماء السابق (م ١٣٤١ هـ) الذي ألف في تراجم أعيان الهند كتابه « نزهة الخواطر » في ثمانية مجلدات كبار تشتمل على نحو خمسة الاف ترجمة (١) . وفي تاريخ الهند العلمي والتعليمي « عوارف المعارف » الذي أصدره المجمع العلمي العربي بدمشق باسم « الثقافة الاسلامية في الهند » وفي خطط الهند وآثارها كتابه « جنّة المشرق » فانه قد قضى ما عليه وزاد ، جزاه الله عن المسلمين في الهند خير ما يجزي العاملين المخلصين .

أراني قد قسوت بعض الشيء مع اخواني الكرام في الاقطار العربية العزيزة الذين لم تسكنهم شؤونهم الخاصة من دراسة تاريخ الهند وخاصة المسلمين وغابرههم ، فاني - والحق يقال - وجدت فيهم عددا لا يستهان به من المتبعين لاحوال الهند والمطلعين على آثارها الاسلامية (٢) الذين لا يزالون يشيدون بفضلها في بعض العلوم الاسلامية ، وحراستها لامانة الحديث الشريف بعدما ركبت ريحه في البلاد العربية ، وقد رأيت حرصا كبيرا في كل بلد عربي على معرفة الهند ، وتطلعا الى اخوانهم

(١) ظهر من هذا الكتاب الجليل سبعة أجزاء اصدرتها دائرة المعارف في حيدر آباد ، الهند .

(٢) صدر حديثا كتاب « الاسلام في الهند » لصاحب الفضيلة الاستاذ عبد المنعم النمر ، وهو او كتاب يصدر في الشرق العربي ، مؤسسا على دراسة ومعرفة واخلاص ، وليسد عوزا كبيرا في المكتبة العربية .

المسلمين في الهند ، وعناية خاصة بشؤونهم وانجذابا اليهم بحكم الدين والثقافة الاسلامية ، وبسبب ما عرف به المسلمون في الهند قديما وحديثا من الغيرة على الاسلام . والتعصب للعلوم الاسلامية العربية ، والحرص على الجامعة الاسلامية .

ذلك يدفعني الى أن أقدم الى اخواني في الشرق العربي هذا الكتاب ، يتحدث عن الهند وعن اخوانهم فيها قديما وحديثا ، ويتناول هذا الحديث نواحي شتى في الحياة العلمية والاجتماعية والدينية ، وعما أضافه المسلمون الى ثروة الهند منذ دخولها وما أدخلوا عليها من اصلاحات وتجديدات في مختلف نواحي الحياة ، وعما أتجه المسلمون في الهند في العلوم الاسلامية ومازادوا الى تراثها ، ومن نبغ فيها من العلماء الكبار والمؤلفين العظام ، وعن مظاهر نشاط المسلمين العلمي والديني، ومراكزه الكبيرة في العصر الحاضر ، وعن خصائص هذا الشعب وطبيعته وشخصيته وعن ماضيه وحاضره ، وعن قضاياها الرئيسية ومشكلاته ، عسى أن يكون حلقة - ظلت مفقودة زمنا طويلا - في سلسلة تنوير الرأي العام والتزويد بالمعلومات الصحيحة وفي سبيل التعارف الاسلامي .

ويحملني الى تقديم هذا الكتاب أيضا اننا نلاحظ أن كثيرا من أقطاب السياسة والثقافة ورجالات العالم الاسلامي والشرق العربي يزورون هذه البلاد كل عام ويقضون فيها ماشاء الله من

الوقت ، ولا يهمهم أن يتصلوا باخوانهم المسلمين — الذين أسهموا في بناء الحضارة والثقافة الاسلاميتين العريتين بسخاء وجدارة — وأن يعرفوا أوضاعهم السياسية والثقافية والدينية وما يشلونه أو يستطيعون أن يشلوه من دور في حضارة هذه البلاد وحضارة العالم ، وما لهم من قضايا ومشكلات يعالجونها كأنها بلاد — كأوربا واليابان — ليس فيها شعب مسلم، وينصرفون الى بلادهم لا يعرفون عن الشعب الاسلامي في الهند الا معلومات ضئيلة سطحية مبشرة ، وقد يعرفون عن البوذيين والجنين أكثر مما يعرفونه عن المسلمين الذين يشاركونهم في العقيدة والثقافة والحضارة ، والذين كانوا بناء الهند الجديدة وصانعيها والذين هم من أغنى شعوب العالم علما ونتاجا وحكما وإدارة وآثارا ومخلفات ، ولا يزالون مصدر قوة وأمل .

الى هؤلاء وأولئك جميعا أقدم هذا الكتاب ، وبالله التوفيق .

المجمع الاسلامي العلمي ابو الحسن علي الحسيني الندوي
ندوة العلماء ، لكهنؤ الهند سلخ ذي الحجة الحرام ١٣٧٩ هـ



دور المسلمين في حضارة الهند

سأتحدث في هذا المقال عما حمله المسلمون الى هذه البلاد مع دخولهم كدعاة مرشدين ، أو غزاة مجاهدين ، أو ملوك فاتحين أو علماء محققين ، من خيرات وحسنات وتحف وطرف ، وعن بعض ما أضافوه الى ثروتها الدينية والعلمية والخلقية والاجتماعية والصناعية والمدنية في عهدهم الطويل الجميل الزاهر .

دخل المسلمون في هذه البلاد حيناً بدافع ديني مجرد من كل مصلحة ومنفعة ليحملوا الى أهلها رسالة الاسلام الرحيمة العادلة ، وليخرجوا الناس من ضيق الدنيا الى سعتها ، وليضعوا عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم كما فعل أولئك الدعاة المخلصون الذين ارتسوا في أحضانهم مئات ألوف من الاشقياء والمعذبين ، وأحبّوهم أكثر من آبائهم وأولادهم كالسيد علي الهجويري ، والشيخ معين الدين الاجميري ، والسيد علي بن الشهاب الهمداني الكشميري .

ودخلوها حيناً آخر كغزاة فاتحين وملوك طامحين ، كالسلطان محمود الغزنوي ، وشهاب الدين محمد الغوري ، وظهير الدين بابر التيموري مثلاً ، كانوا مؤسسي دولة عظيمة ازدهرت مدة طويلة ، وخدمت البلاد ، وتقدمت بها في نواحي الحياة المختلفة .

وكان كل من هؤلاء وأولئك مصمما على الإقامة في البلاد ،
أو على الاتصال بها اتصالا مباشرا مستمرا ، يعتقد أن الأرض لله
يورثها من يشاء ، وأن كل ما كان لله من أرض وبلاد فهو
للمسلم عن طريق الخلافة والوصاية العالمية التي كلّف بها
المسلمون ، فكانوا ينظرون الى هذه البلاد كوطن ، ومدفن ،
ومسكن ، لا يبيعونها حولها ، فكانوا يخدمونها بكل ما أوتوه
من ذكاء ونبوغ وقوى ومواهب ، وكانوا يعتقدون أن كل ما
يضيفونه الى ثروتها انما يضيفونه الى ثروتهم ويحسنون الى
أنفسهم وأجيالهم القادمة ، لانهم أهل البلاد وأمة المستقبل ،
فكان نظرهم الى البلاد يختلف بطبيعة الحال عن نظر الاوربيين
المستعمرين الذين يجلبون خيراتها الى بلادهم الخاصة ويجلبون
البلاد كبقرة مستعارة لا تقيم عندهم ولا يجدون من بعد اليها
سيلا ، وذلك سر عناية المسلمين بهذه البلاد وحرصهم على
تقدمها ورفاهيتها •

دخل المسلمون الهند وهي تعترّ بحضارة أصيلة عريقة في
القديم ، وفلسفة عميقة ، وعلوم رياضية دقيقة ، وخيرات عظيمة
من حبوب وثمار وفواكه ، ومواد خامة ، ولكنها كانت - على
كل ذلك - تعيش منذ قرون في عزلة عن العالم قد فصلتها عن
بقية الانسانية الجبال في جانب والبحار في جانب آخر ، وكان آخر
من دخلها من العالم المتسدين هو الإسكندر الكبير •

وهكذا انطوت هذه الامة العظيمة على نفسها وعاشت قرونا طويلة في عالم محدود محصور ، لاتستورد شيئا من الافكار والديانات والنظم والصنائع والعلوم من الخارج ولا تصدر اليه شيئا .

دخل المسلمون الهند وهم أرقى أمة في الشرق ، بل في العالم لمتمدن المعمور في ذلك العهد ، يحملون دينا جديدا سائغا معقولا ، سهلا ، سمحا ، وعلوما اختمرت وتوسعت ، وحضارة تهذبت ، ورقت حواشيها ، يحملون معهم محصول عقول كبيرة كثيرة وتنتاج حضارات متنوعة متعددة ، يجمعون بين سلامة ذوق العرب ، ولطافة حسّ الفرس ، وبساطة الترك ، وكانوا يحملون للهند وأهلها غرائب كثيرة وطرفا غالية .

وكان أغرب ما كانوا يحملون في الدين توحيد الاسلام النقي الذي لا يرى الوساطة بين العبد وربّه في العبادة والدعاء ، ولا يعترف بالآلهة والمظاهر والظلال وحلول الله - جلّ وعلا - في بعض البشر وظهوره فيهم ، ويؤمن بالإله الواحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، له الخلق والامر ، وله الكبرياء في السموات والارض .

يقول الباحث الهندي المعروف (K. M. Panikkar) وهو يتحدث عن تأثير عقيدة التوحيد الاسلامية في عقلية الشعب الهندي ، ودياناته : « من الواضح المقرر أن تأثير الاسلام في

الديانة الهندوكية كان عميقا في هذا العهد (الاسلامي) ان فكرة عبادة الله في الهناك ، مدينة للاسلام ، ان قادة الفكر والدين في هذا العصر وان سمو آلهتهم بأسماء شتى قد دعوا إلى عبادة الله ، وصرحوا بأن الاله واحد ، وهو يستحق العبادة ، ومنه تطلب النجاة والسعادة ، وقد ظهر هذا التأثير في الديانات والدعوات التي ظهرت في الهند في العهد الاسلامي كديانة ، Bhagti ودعوة (كبير) (١) (٢) «

أما في الاجتماع فكان أعجب ما حمله المسلمون معهم هي المساواة الانسانية التي لم يكن للهند عهد بها ، فلا نظام طبقات ، ولا منبوذ ، ولا نجس بالولادة ولا جاهل يحرم عليه التعلم ، ولا تقسيم أيدي للحرف والصناعات ، يعيشون معا ويأكلون جميعا ويتعلمون سواءا ، ويختارون ما يشاؤون من الحرف والصناعات ، وقد كانت صدمة عنيفة للذهن الهندي ، والمجتمع الهندي ، ولكن لاشك أنها أفادت الهند كثيرا ولطفت من شدة النظام الطبقي السائد ، وكان باعثا قويا على رد الفعل ضد النظام الطبقي وحافزا للدعاة الى اصلاح الاجتماعى ولنسخ اللبس المنبوذ .

وقد قرر هذه الحقيقة التاريخية جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند اذ قال : « ان دخول الغزاة الذين جاؤا من شمال غرب

(١) شاعر متصوف ينتقد المجتمع الهندي ويدعو الى اصلاح
 مختلف الناس في ديانتهم .

(٢) Asurney of Indian History .P . 132

الهند ودخول الاسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند ، انه قد
 فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي ، انه قد
 أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحج الاعتزال عن العالم
 الذي كانت تعيش فيه الهند ، ان نظرية الاخوة الاسلامية والمساواة
 التي كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها أثرت في أذهان
 الهندوس تأثيرا عميقا وكان أكثر خضوعا لهذا التأثير البؤساء
 الذين حرّم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق
 الانسانية» (١) .

وكانت الهدية الثالثة احترام المرأة والاعتراف بحقوقها
 وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الاسرة الانسانية وشقيقة
 الرجل ، وعظمة هذه الهدية في بلاد كانت السيدات يحرقن
 أنفسهن بالنار على وفاة أزواجهن ولا يرين ولا يرى المجتمع لهن
 حقا في الحياة بعد الازواج ، أقول ان عظمة هذه الهدية في مثل
 هذه البلاد واضحة لا تحتاج الى تعليق .

نقل المسلمون الى الهند علوما جديدة كذلك ، من أجلها
 وأنفعها — اذا تركنا العلوم الاسلامية التي لا تتوقع من الهند
 علم التاريخ فقد كانت البلاد فقيرة في التاريخ ليس في مكتبتها
 كتاب تاريخ بالمعنى الصحيح ، انما هنالك صحف دينية أو ملاحم
 مقصورة على حرب أو عهد ، مثل « مهابارت » أو « رامائن »

أما المسلمون فقد كوّنوا في التاريخ مكتبة هائلة من أوسع المكتبات التاريخية في العالم ، ولنظرة في كتاب « الثقافة الإسلامية في الهند »^(١) للعلامة السيد عبد الحي الحسني تخبر بما كان يهم من نشاط غريب وانتاج ضخم في تاريخ الهند وفي التاريخ العام .

قال غوستاف لوبون في « حضارة الهند » :

« ليس للهند القديمة تاريخ ، وليس في كتبها وثائق عن ماضيها »

« فالحق أن دور الهند التاريخي لم يبدأ الا بعد المغازي الإسلامية في القرن الحادي عشر بفضل مؤرخي المسلمين » .

وقد اكتسبت الهند من المسلمين بصفة عامة توسعا في الخيال وجدّة في التفكير ، ومعاني جديدة في الادب والشعر لم تكن تخطر على بال لولا عملية التوليد العقلي والتلقيح الفكري والادبي ، وكان مما منح المسلمون الهند هذه اللغة الجميلة الواسعة التي أصبحت لغة التفاهم ولغة العلم في الهند التي عرفت بكثرة اللغات واللهجات أعني لغة أردو .

وكان تأثير المسلمين في المدنية والصناعة وأساليب الحياة أبرز وأقوى منه في نواح أخرى ، فقد أدخلوا في هذه البلاد حياة جديدة تختلف عن الحياة القديمة في هذا القطر ، كما تختلف

(١) صدر هذا الكتاب حديثا عن المجمع العلمي العربي

بدمشق .

الحياة في أوربا اليوم عن الحياة في القرون الوسطى .

واذا أردنا أن نعرف ما أضافه المسلمون الى ثروة هذه البلاد ومدنيتها يجب علينا أن نستعرض الهند وثروتها ومدنيتها وحاصلاتها ومرافقها ومستوى المعيشة فيها قبل أن يتمكن المسلمون من بناء مدينة جديدة واقامة حضارة هندية اسلامية واتحاف هذه البلاد بما عرفوه وألفوه من مرافق الحياة ورقائق المدنية ، وقد ترك لنا مؤسس الدولة المغولية العظمى ظهير الدين محمد بابر (٨٨٨ - ٩٣٩) صورة واضحة عن مدينة الهند وثروتها الطبيعية والصناعية والمستوى الذي كانت عليه هذه البلاد عند غزوه لها ، ولا يخفى أن اليد الاسلامية الصانع الحاذقة ظلت تشتغل مدة قبل الهجوم المغولي ، يقول بابر في مذكراته (١) :

« لا وجود للخيل العتاق ، ولا يوجد من الفواكه العنب والبطيخ والاشجار الطيبة ، الثلج مفقود ، والماء البارد قليل نادر ، والحمام لا يوجد ، والمدارس لا يعرفها أهل الهند ، والمشكاوات والشموع لا وجود لها ، وكذلك الفوانيس ، ويستعملون مكانها خشبة ذات ثلاثة أرجل تحمل احدى أرجلها حديدة مركبة بها ، وفي الرجل الثانية فتيلة ضعيفة وفي يدها اليمنى قرع (دبء) له ثقب صغير ينزل منه الزيت على الفتيلة وبهذه المشكاة الوسخة

(١) كتبها بابر في اللغة التركية في اسلوب ادبي رفيع ونقلها الى الفارسية الاديب التركي والشاعر الكبير قائد قواد الدولة المغولية الامير عبد الرحيم بيرم خان ، وطبعت في بمبيء (الهند) .

يستعين الملوك والامراء عند الحاجة في الليل .
أما الحدائق والابنية فلا توجد فيها عيون متدفقة ومياه جارية
ولا تتمتع هذه الابنية بالنظافة والهواء والتناسب ، وأكثر أفراد
الشعب يشون حفاة ويكتسون بخرقة والنساء يتزرن بالازار
يلقين طرفا منه على الرأس» (١)

ومعلقا على ما سجله المؤسس الكبير لاعظم حكومة في الهند
من ملاحظات وانطباعات عن هذه البلاد ، يقول جواهر لال نهرو
رئيس وزراء الهند في كتابه (Discovery of India) :
« ومن خلال التاريخ الذي ألّفه بابر نرى فقر الحضارة الذي
كان مسيطرا على الهند الشمالية ، ومرجع ذلك ، التدهور الذي
كان نتيجة هجوم تيمور ، وبسبب أن كثيرا من العلماء والفنانين
والصناع نزحوا من شمال الهند الى جنوبها ، ومن أسباب هذا
الانحطاط أن منابع الابداع والابتكار في أهل الهند قد نضبت ،
يقول بابر : ان البلاد ليست فقيرة في وجود الصناع الحاذقين
ولكن اختراعات أهل الهند تخلو من الذكاء والفتانة »
ان سقوط الحضارة الهندية في شمال الهند واضح لا خفاء فيه
ان العقائد المرسومة والمجتمع المتزمت قد منعا الاصلاح
الاجتماعي والتقدم» (٢)

كانت البلاد — رغم خصبها وغناها — قليلة الفواكه والثمار

(١) « توزك بابري » مذكرات ظهير الدين بابر ، الترجمة
الفارسية .

(٢) الجزء الاول ٥١٠ (Discovery of India)

وأكثرها برّية لم تلق العناية اللازمة حتى جاء المغول وهم أصحاب ذوق رفيع وأبناء بلاد كثيرة الفواكه والاشجار ، فأدخلوا عليها ثمارا جديدة وفواكه كثيرة يعرفها المستقصي من كتاب « توزك بأبري » و « توزك جهانكيري » وقاموا بعملية التلقيح والتهذيب لبعض الثمار الهندية حتى جاء أشهى وألذ وألطف كما كان الشأن مع « المانجو » أشهر فواكه الهند وألذها وأفضلها فلم يكن يوجد منه الا ما ينبت بالبذر فلقحوه حتى جاء ما يسمونه في الهند « قلمى » وكان منه أنواع في العهد الاخير ، لعلها تزيد على مائة نوع .

كذلك كان اتناجهم عظيما في صناعة القماش والمنسوجات وقد كان أغلب لباس أهل الهند الكرباس والقطن الثخين العادي والصوف الخام .

وقد أنشأ ملك كجرات السلطان محمود بن محمد الكجراتي المشهور باسم محمود بيكره (م ٩١٧ هـ) مصانع كثيرة للنسيج والوشي والتطريز والنحت ، ومصنوعات العاج والمنسوجات الحريرية ، وصناعة الورق ، وقد كان السلطان محمود هذا ملكا عمرانيا كبيرا ، أحدث نشاطا صناعيا وزراعيًا وتجاريًا منقطع النظير في تاريخ ذلك العصر يقول مؤرخ الهند العلامة السيد عبد الحي الحسيني في ترجمته في نزهة الخواطر :

« ومن مكارمه قيامه بتعمير البلاد وتأسيس المساجد

والمدارس والخوانق وتكثير الزراعة وغرس الاشجار المثمرة
وانشاء الحدائق والبساتين وتحريض الناس على ذلك ، وإعانتهم
بحفر الآبار واجراء العيون ، ولذلك أقبل عليه الناس اقبالا كليا
ووفد عليه البناؤون والمعماريون وأهل الحرف والصنائع من بلاد
العجم فقاموا بحرفهم وصنائعهم فصارت كجرات رياضا مخضرة
بكثرة الحياض والآبار والحدائق والزروع والفواكه الطيبة ،
وصارت بلاد كجرات متجرة تجلب منها الثياب الرفيعة الى بلاد
أخرى ، وذلك كله لميل سلطانها محمود شاه الى ما يصلح به الملك
والدولة ويترفع به رعاياه « (١) »

وكذلك فعل « أكبر » وأنشأ معامل كبيرة للنسيج ، وقد
كانت لهم اصلاحات دقيقة عظيمة التأثير في تعيين الضرائب على
حسب الاراضي ومساحة العقارات والمزارع وتنظيمها وتشريعات
مضبوطة وتنظيم المالية واصلاح نظام النقود ، لم يكن للحكومات
الهندية السابقة عهد بها ، قد كان لشيرشاه السوري الملك المقتن
والاداري العبقري فضل التقدم والابتكار وتبعه « أكبر » .

وكذلك كان للحكومات الاسلامية فضل في تربية الحيوانات
واقنتائها وترقية نسلها وتربية أجسامها ، يظهر ذلك في مذكرات
جهانكير « توزك جهانكيري » وكتب التاريخ مثل آئين اكبري
أما تأسيس المستشفيات (المارستانات) ودور العجزة، والحدائق

(١) نزهة الخواطر الجزء الرابع ، ترجمة السلطان محمود بن
محمد الكجراتي ، ص ٣٤٥ .

العامة والمنتزهات والترع الكبيرة والبرك العظيمة فقد كان من محاسن الدول الإسلامية التي لم تسبق إليها ، وفي كتاب « جنة المشرق » وهي « خطط الهند »^(١) للعلامة عبد الحي الحسني قائمة طويلة بأسماء المستشفيات والمؤسسات الخيرية والمشاريع المدنية التي نشأت في عصور الدول الإسلامية المختلفة .

وكذلك الشوارع الطويلة التي تجمع بين شرق الهند وغربها وتمتد على طول الهند وعرضها كانت من انشاء الملوك المسلمين ، اشتهر منها الشارع الطويل الذي أنشأه شيرشاه السوري من سناركاؤن أقصى بلاد بنغال (في باكستان الشرقية) الى ماء نيلا ب من أرض السند (في باكستان الغربية) مساحته اثنان وثلاثون وثمان مائة وأربعة الاف كيلو (٤٨٣٢ كم :) وأسس في كل ثلاثة كيلوات رباطا ورتب هناك مائتين مائدة للمسلمين ومائدة للهنادك ، وأسس مسجدا على كل ثلاثة كيلوات ، ووظف مؤذنا ومقريا واماما في كل مسجد ، وعين في كل رباط فرسين للبريد فكان يرفع اليه أخبار نيلا ب الى أقصى بلاد بنغال كل يوم ، وغرس الاشجار المثمرة بجانب الشارع ليستظل بها المسافر ويأكل منها .

وعلاوة على ذلك فقد كان مما أدخله المسلمون ونقلوه من الخارج الى الهند النظافة الزائدة والاناقة في كل شيء والظرافة

(١) لم يطبع هذا الكتاب بعد .

في المأكـل والمشرب والبناء والاجتماع ، والاحتفاظ بأصول الصحة وتهوية البيوت وتنويرها والتأنق في الاواني ، فقد كان أهل الهند — ولا يزال كثير منهم — يأكلون على أوراق الشجر خصوصا في الولايم الكبيرة ، وقد أحدث المسلمون انقلابا عظيما في المجتمع وفي الحياة المنزلية وفي نظام تأيـث البيوت •

وكذلك أدخلوا فنا معماريا جديدا يمتاز بالمتانة والدقة والركة والجمال والتناسب والفخامة والتهوية والتنوير ، ولا يزال « تاج محل » آية في الهندسة والبناء ، وذكرى عهد المسلمين الزاهر ، ودليلا ناطقا على ما بلغوا اليه من رقة الذوق ولطافة الحس والابداع في الفن •

وقد اعترف جواهر لال نهرو في كتابه « العثـور على الهند » (Discovery of India) بتأثير المسلمين الواسع العميق في العقلية الهندية وفي المجتمع الهندي ، وتأثيرهم في حضارة هذه البلاد يقول :

« ان دخول الاسلام والشعوب المختلفة في الهند التي حملت معها أفكارا طريفة وأساليب مختلفة للحياة قد أثرت في عقيدتها وأثرت في هياكلها الاجتماعية ، ان الفتح الاجنبي — على علته وما فيه من مساوىء — لا يخلو من فائدة ، وهي أنه يوسع أفق الشعب المفتوح الفكري ، ويضطره الى الخروج من الحصار الفكري الذي أقامه حوله ، وبذلك يبدأ أفرادـه يفهمون أن الدنيا

أوسع وأكثر اختلافا وتنوعا مما كانوا يسمرون ويعتقدون ،
وهكذا أثر الفتح الافغاني في الهند وظهرت تطورات كثيرة في
حياتها ، وكانت هذه التطورات أكثر وأعرق بعد دخول المغول
في الهند لانهم كانوا أكثر ثقافة وأرقى من الافغان ، وقد نشروا
في الهند الاناقة التي كانت من خصائص ايران (١) .

وقد اعترف بذلك أحد قادة حركة التحرير في الهند ورئيس
المؤتمر الوطني سابقا Pattabhai Sila Ramyya في خطبته التي
ألقاها في حفلة المؤتمر الوطني الهندي في « جي يور » قال :

« ان المسلمين أغنوا ثقافتنا ، انهم قوا ادارتنا ، وقربوا
أجزاء البلاد البعيدة بعضها الى بعض ، لقد كان تأثيرهم عميقا في
آداب البلاد وحياتها الاجتماعية » (٢)

ويقول الدكتور هنتر الذي يعتبر من كبار الحاقدين على
الشعب الاسلامي الهندي وعواطفه الاسلامية :

ان المسلمين قد أنشأوا مستعمرات في جنوب الهند الاراضي
التي أحيوها وعسروها ، واذا قيَّض لسائح أن يتجول في هذه
المنطقة استرعى انتباهه البرك التي يسقى بها الزرع ، والمساجد
والرباطات والاحواض والزوايا التي أنشأوها في غابات موحشة
لم يكن بها عمران .

(١) الجزء الاول ص ٥١١ (Discovery of India)

(٢) خطبة المؤتمر الهندي الوطني .

وقد ظل المسلمون ينشرون دينهم نادرا بالسيف وغالبا بتأثير عاطفتين قويتين أن الهنادك لم يسمحوا للشعوب القديمة التي كانت تسكن عند منبع الكنج بالدخول في مجتمعهم ، أما المسلمون فقد قدموا جميع الحقوق الانسانية لطبقة البراهمة والمنبوذين سواءا بسواء ، ان هؤلاء الدعاة المتحمسين أعلنوا في كل مكان أن كل واحد يجب عليه أن يخضع لله الواحد العلي ، وأن البشر كلهم سواء عنده لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى ، وأن الله قد خلقهم كذرات التراب (١)

وقد ذكر مؤرخ الهند الكبير المشهور بمؤلفاته السائرة وكتبه المقررة في الجامعات « جادوناتيه سركار » في مقالته بالانجليزية التي ظهرت في مجلة كلكتة « الهند الواعية » بعنوان « الاسلام في الهند » عشرا من هبات الاسلام للشعب الهندي ، منها ما تقدم في مقالنا والذي زاده هذا المؤرخ الكبير ونذكره هنا : الاولى : صلة الهند بالعالم الخارجي ، والثانية : وجود الوحدة السياسية والوحدة في اللباس والحضارة خصوصا في الطبقات الراقية ، والثالثة : وجود لغة رسمية ادارية واسلوب من النشر الفني الذي ساهم في تهذيبه وترقيته المسلمون والهنادك ، والرابعة : تقدم لغات اقليلية في ظل الحكومة المركزية لوجود السلام والرفاهية في البلاد ، وازدهار آدابها واتشارها ،

(١) مسلمو الهند . W. W. Hunter our Indian Musalmans

والخامسة : تجديد التجارة عن طريق البحار التي كانت قد توقفت
وفقدت منذ مدة طويلة ، والتي كان يقوم بها أهل الجنوب في
الزمن القديم ، والسادسة : انشاء بحرية للهند •

ونختم هذه المقالة الوجيزة بكلمة لكاتب عصري فاضل وهو
(N. C. Mehta . I. C. S. يقول في كتابه : Indian Civilisation
and Islam) « الحضارة الهندية والاسلام » :

ان الاسلام قد حمل الى الهند مشعلا من نور قد انجلت به
الظلمات التي كانت تغشى الحياة الانسانية في عصر مالت فيه
المدنيات القديمة الى الانحطاط والتدلي ، وأصبحت الغايات
الفاضلة معتقدات فكرية ، لقد كانت فتوح الاسلام في عالم الافكار
أوسع وأعظم منها في حقل السياسة ، شأنه في الاقطار الاخرى ، لقد
كان من سوء الحظ أن ظلَّ تاريخ الاسلام في هذا القطر مرتبطا
بالحكومة فبقيت حقيقة الاسلام في حجاب ، وبقيت هباته وأياديه
الجميلة مخفية عن الانظار •



تراث العلماء المسلمين العلمي في الهند وعنايتهم باللغة العربية

كان المسلمون في الهند أوفياء لوطنهم لا يتشاغلون عن خدمته والتقدم به في ميادين العلم والصناعة والمدنية ، أوفياء لدينهم وثقافتهم الاسلامية العربية لا يتخلفون عن ركبتها ولا ينقطعون عنها وقد نراهم في بعض فترات التاريخ في مقدمة القافلة ومأخذ الزمام .

ان الجمع بين ثقافتين تتناقضان كثيرا وتلتقيان قليلا ، وأن الوفاء لوطين — مادي وروحي — مهمة عسيرة لانعرف شعبا من شعوب الاسلام كلف نفسه بها ثم نجح نجاح مسلمي الهند .

ان مؤلفات المسلمين في الهند في العلوم الاسلامية لاتحصى كثرة وذلك موضوع كتاب كبير ، ككتاب الفهرست لابن النديم، أو كشف الظنون للجلبي وجولة في كتاب « الثقافة الاسلامية في الهند » للعلامة السيد عبد الحي الحسيني تدل على مركز الهند العلمي وقسط علمائها ومؤلفيها في حركة التأليف والنشر ، وأقتصر هنا على الكتب التي تخطت شهرتها حدود الهند وسارت بها الركبان واحتفى بها علماء العرب ، وأخص منها أولا ما ألف باللغة العربية .

من هذه الكتب العالمية ، كتاب « العباب الزاخر » للإمام حسن بن محمد الصغاني اللاهوري من رجال القرن السابع الهجري الذي عد من مراجع اللغة العربية ، وغرر كتبها ، وقد اعتنى به أئمة اللغة قديما وحديثا ، واعترفوا له بالدقة ، والاتقان ، وغزارة المادة ، واعترفوا لصاحبه بالفضل والامامة في هذا الشأن ، قال السيوطي : انه كان حامل لواء اللغة وقال الذهبي : ان اليه المنتهى في اللغة ، وقال الدمياطي : انه كان إماما في اللغة والفقه والحديث ، وكذلك كتابه « مشارق الانوار » في الحديث من الكتب المشهورة المقبولة في العالم الاسلامي ، وقد ظل مدة طويلة من كتب التدريس •

ومنها كتاب « كنز العمال » للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانيوري من رجال القرن العاشر ، وهو ترتيب جمع الجوامع للسيوطي وهو من الكتب التي انتفع به علماء الحديث كثيرا ، واعترفوا لصاحبه بجهود عظيم وفر عليهم وقتا كبيرا وأغناهم عن مراجعات كثيرة ، قال الشيخ أبو الحسن البكري ، الشافعي من أئمة العلم في الحجاز في القرن العاشر : إن للسيوطي منة على العالمين وللمتقي منة عليه •

ومنها كتاب « مجمع بحار الانوار في غرائب التنزيل ولطائف الاخبار » للشيخ محمد طاهر الفتني (م ٩٨٦ هـ) قال العلامة السيد عبد الحي في « نزهة الخواطر » جمع فيه المؤلف كل غريب

الحديث وما ألف فيه فجاء كالشرح للصحاح الستة وهو كتاب متفق على قبوله بين أهل العلم منذ ظهر في الوجود وله منة عظيمة بذلك العمل على أهل العلم ، وكذلك كتابه « تذكرة الموضوعات » من الكتب السائرة المتداولة في الموضوع .

ومنها الفتاوى الهندية التي تعتبر من المراجع الفقهية الكبرى التي عليها العمدة في كثير من الاقطار الاسلامية التي تحكم بالفقه الحنفي يقول صاحب « الثقافة الاسلامية في الهند » :

« أما الفتاوى المالكية ويسمونها الفتاوى الهندية فهي من أجلها وأنفعها (أجل الفتاوى والمجاميع) في كثرة المسائل وسهولة العبارة ، وحل العقد ، وهي التي اشتهرت في بلاد العرب والشام ومصر القاهرة بالفتاوى الهندية ، وهي في ستة مجلدات كبار رتبوها على ترتيب الهداية ، واقتصروا فيها على ظاهر الرواية ، ولم يلتفتوا الى النوادر إلا إذا لم يجدوا جواب المسألة في ظاهر الرواية ، أو وجدوا جواب النوادر موسوما بعلامة الفتوى ، ونقلوا كل عبارة معزوة الى كتابها ولم يغيروا إلا لداعي ضرورة ، وقد ولّى السلطان اورنگ زيب عالمكير التيموري أنار الله برهانه الشيخ نظام الدين البرهانيوري ، في أوائل سلطنته تدوينها باستخدام الفقهاء الحنفية وبذل على تدوينها مائتي الفروبية»^(١) .

وقد ذكر المؤلف أربعة وعشرين رجلا من كبار علماء الهندي

(١) مائتا الف روية هندية تساوي نحو خمسة عشر الفا
١٥٠٠٠ من الجنيهات وقيمتها في هذا العصر أكثر من مائة الف جنيه.

ذلك العصر ساهموا في تدوينها ، وكان أربعة منهم وهم القاضي محمد حسين الجونيوري المحتسب ، والشيخ علي أكبر الحسيني أسد الله خاني ، والشيخ حامد بن أبي الحامد الجونيوري والمفتي محمد أكرم الحنفي اللاهوري قد تولوا أرباعها لكل واحد منهم الاشراف على ربع الكتاب •

ومنها كتاب « مسلم الثبوت » في أصول الفقه للعلامة محب الله ابن عبد الشكور الحنفي البهاري المتوفى (١١١٩ هـ) وقد رزق القبول العظيم في الاوساط العلمية المدرسية في الهند وبلاد الاسلام ، وتناوله كبار العلماء في عصورهم بالتدريس والشرح ، وكانت له عشرة شروح لكبار الاساتذة الفضلاء في الهند •

ومنها كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » للشيخ محمد أعلى انتهانوي من رجال القرن الثاني عشر ، كتاب عظيم النفع ، تلقاه المشتغلون بالعلم في بلاد العرب بالقبول ، وأثنوا عليه لأنه كمعجم للمصطلحات العلمية يغني عن مراجعة آلاف من الصفحات ومئات من الكتب ، وهذا موضوع لم يكن فيه كتاب كبير على شدة الحاجة اليه ، ولا يزال المرجع الوحيد للفضلاء والمؤلفين والباحثين في هذا الشأن •

وفي هذا الموضوع كتاب آخر وهو « جامع العلوم » المشهور بدستور العلماء في أربعة مجلدات للشيخ عبد النبي بن عبد الرسول الاحمد نكري من رجال القرن الثاني عشر أيضا •

ومنها بل من أعظمها كتاب « حجة الله البالغة » للإمام ولي الله
الدهلوي (م ١١٧٦) في أسرار أحكام الشريعة وفلسفة التشريع
الإسلامي وهو كتاب مبتكر في موضوعه لا يوجد له نظير في المكتبة
العربية على سعتها ، وقد أجله علماء هذا الموضوع وأعيد طبعه
في مصر مرارا •

ومما يجب الإشارة إليه أن هذا الكتاب يتسم بنصاعة العربية
وقوة العبارة وانسجامها وبعدها عن السجع البارد وتقليد أسلوب
انحريري الذي كان متفشيا في عصره ومصره ، وقلما نجا منه
مؤلف وكاتب في القرون الأخيرة وهو يعد بحق المثال الثاني للنشر
الطبعي السلسال والتعبير العلمي العامر بعد مقدمة ابن خلدون
في عصور انحطاط العربية وغلبة العجمة والصناعة على الكتاب
والمؤلفين في العالم الإسلامي •

ومنها كتاب « تاج العروس في شرح القاموس » للسيد
مرتضى بن محمد البلكرامي المشهور بالزيدي (م ١٣٠٥) الذي
هو أشهر من أن يعرف ، وهو مكتبة لغوية علمية عظيمة في عشرة
مجلدات كبار ، وقد اشتهر أمر هذا الكتاب في حياة صاحبه
فاستكتب منه الخليفة العثماني نسخة ، وسلطان دارفور نسخة ،
وملك المغرب نسخة ، وطلب منه أمير اللواء محمد بيك أبو الذهب
نسخة وجعلها في مكتبة مسجده الذي أنشأه بالقرب من الأزهر ،
وبذل في تحصيله ألف ريال •

وقد نبغ في الهند في القرن الرابع عشر الهجري مؤلفون فاقوا
 في العالم الاسلامي كله في سرعة التأليف وكثرة المؤلفات وضخامة
 الانتاج وكان كل واحد منهم مجعاً علمياً نشيطاً وقد قام بعضهم
 شخصياً بما لا تقوم به مجاميع علمية في أكثر الاحيان ، فالامير
 حديق حسن بن اولاد حسن القنوجي أمير بهويال (م ١٣٠٧)
 يبلغ عدد مؤلفاته اثنين وعشرين ومائتي كتاب (٢٢٢) منها ستة
 وخمسون (٥٦) كتاباً في اللغة العربية وفيها كتب كبار
 ذات قيمة علمية منها « فتح البيان في تفسير القرآن » في عشرة
 مجلدات كبار وأبجد العلوم ، والتاج المكلل ، والبلغة في أصول
 اللغة ، والعلم الخفاق من علم الاشتقاق •

ويبلغ عدد مؤلفات علامة الهند فخر المتأخرين الشيخ عبد
 الحي بن عبد الحليم اللكهنوي (م ١٣٠٤) مائة وعشرة كتب
 (١١٠) منها ستة وثمانون (٨٦) كتاباً بالعربية من أشهرها
 وأجلها « السعاية في شرح شرح الوقاية » و « مصباح الدجى »
 والتعليق المجدد ، وظفر الاماني ، ولا يزال كتابه « الفوائد
 النبوية » عمدة المؤلفين في تراجم علماء المذهب الحنفي ورجعهم
 الكبير •

ويبلغ عدد مؤلفات المصلح الكبير والمربي الشهير مولانا
 أشرف علي التهانوي (م ١٣٦٢) تسع مائة وعشرة (٩١٠) منها
 الصغير ، والكبير منها ثلاثة عشر كتاباً بالعربية •

وللعلامة محمود حسن خان التونكي (م ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧ م)

كتاب عظيم سماء « معجم المصنفين » هو كدائرة معارف في هذا الموضوع في نحو ستين مجلدا ، تحتوي على عشرين ألفا من الصفحات المطبوعة وعلى تراجم أربعين ألفا من المصنفين وناهيك من سعة الكتاب واستقصائه أن فيه تراجم ألفين من المؤلفين كلهم يسمون أحمد ، وقد لخص في كتابه نحو ألف وخمس مائة من الكتب وذكر كل من ترك بالعربية كتابا منذ بدأ العهد التألوفي إلى سنة (١٣٥٠ هـ) وظهرت منه أربعة أجزاء طبعت في بيروت على نفقة حكومة حيدر آباد ، والجزاء الباقية محفوظة في المكتبة الإصفية بحيدر آباد .

ومن كبار مؤلفي هذا العصر وكتابه العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي (م ١٣٧٣ هـ) الذي خلف مكتبة كبيرة ، من مؤلفاته في السيرة النبوية والشريعة الإسلامية والتاريخ والادب ومجموع ما طبع يبلغ نحو ستة آلاف صفحة غير مقالاته وشذراته التي كان يكتبها في مجلة « معارف » التي تعتبر أرقى مجلة علمية في الهند ، وأجوبته وفتاواه العلمية ، وهو يستحق أن يعد من كبار المؤلفين والمحققين الباحثين في الشرق .

ومن كبار المؤلفين أيضا الذين عرفوا بالاقتدار على التأليف وسيلان القلم وغزارة المادة وسعة المعلومات العلامة مناظر أحسن الكيلاني ، (م ١٣٧٥ هـ) صاحب « النبي الخاتم » و « تدوين الحديث » و « نظام الاسلام الاقتصادي » و « نظام التعليم والترية » وغيرها ، وقد خلف مكتبة عامرة من مؤلفاته .

وقد عرف علماء الهند بشغفهم بالعلوم الدينية و انتهت اليهم رئاسة التدريس والتأليف في فنون الحديث وشرح متونـه ومجاميعه وسئمت زعامتهم في هذا الموضوع في العهد الاخير حتى قال العلامة السيد رشيد رضا منشئ مجلة « المنار » في مقدمة « مفتاح كنوز السنة » « لولا عناية اخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضيَ عليها بالزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة » •

ولعلماء الهند في هذا العصر مؤلفات جلية في فنون الحديث وشروح لأهميات كتبه تلقاها العلماء بالقبول منها « عون المعبود في شرح سنن أبي داود » للشيخ محمد أشرف الديانوي و « بذل المجهود في شرح سنن أبي داود » أيضا للشيخ خليل أحمد السهارتقوري ، و « تحفة الاحوذى في شرح سنن الترمذي » للشيخ عبد الرحمن المباركفوري ، و « فتح الملهم في شرح صحيح مسلم » للشيخ بشير أحمد الديوبندي ، و « أوجز المسالك الى شرح موطأ الامام مالك » للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ، و « فيض الباري » إفادات للعلامة أنورشاه الكشميري على صحيح البخاري لا تزال عمدة ومرجعا لطلبة هذا الفن الشريف وعلمائـه •

ومن الكتب التي اعتنى بها العلماء في الاقطار الاسلامية وعدوها من خيرة ما كتب في الموضوع كتاب « إظهار الحق »

و « إزالة الاوهام » للشيخ رحمة الله الكيرانوي (م ١٣٠٩)
و « فقه اللسان » للقاضي كرامة حسين الكنتوري (م ١٣٣٥)
و « الامعان في أقسام القرآن » للعلامة حميد الدين القراهي
(م ١٣٤٩ هـ) و « جبهة البلاغة » ورسائل في تفسير سور من
القرآن تدل على عمق فكره ودقة نظره واطلاعه الواسع على
التوراة والانجيل وتضلعه من علوم العربية والبلاغة .

ولفضلاء الهند ومؤلفيها كتب في الفارسية في أغراض
اسلامية وعلمية تستحق أن تعتبر فريدة في موضوعها ، وبديعة
في اسلوبها أو تأثيرها ، أو في طرافة بحوثها ، أو غزارة مادتها ،
لذلك نقل عدد منها ، الى بعض اللغات الاسلامية كالعربية
والفارسية والتركية ، كرسائل الامام أحمد بن عبد الاحد السرهندي
ورسائل الامام يحيى بن شرف الدين المنيري البهاري المعروفة
بالمكتوبات في المعارف الإلهية والنكت الشرعية ، وإزالة الخفاء
عن خلافة الخلفاء « لشيخ الاسلام ولي الله بن عبد الرحيم
الدهلوي في بحث الخلافة وثبوت خلافة الخلفاء الراشدين
و « الفوز الكبير في أصول التفسير » له ، و « تحفة اثنا عشرية »
في الرد على الشيعة الامامية ، لولده العلامة عبد العزيز الدهلوي ،
و « الصراط المستقيم » في فن التزكية والتصوف ، للسيد الامام
أحمد بن عرفان الشهيد و « منصب الامامة » للشيخ
اسماعيل بن عبد الغني ، وكلها بالفارسية .

ولهم تأليفات في العهد الاخير في اردو اعتبرت من أفضل ما

ألف في موضوعها ، وأكثرها في السيرة النبوية كسيرة النبي في ستة مجلدات كبار ، للعلامة شبلي النعماني وتلميذه الاستاذ الكبير السيد سليمان الندوي وهي كدائرة معارف في السيرة وعلم الكلام والتوحيد ، وسيرة رحمة للعالمين للقاضي سليمان المنصور فوري ، في ثلاثة مجلدات من أعظم كتب السيرة تأثيرا و « النبي الخاتم » للشيخ مناظر أحسن الكيلاني من أكثرها استنباطات ونكتا لطيفة و « الفاروق » للعلامة شبلي النعماني في سير أمير المؤمنين عمر و « شعر العجم » له في تاريخ الشعر الفارسي وتقده ، ومؤلفات العالم السرباني مولانا محمد قاسم التانوتوي في علم الكلام وفضل الاسلام ، وإثبات بعض عقائده وأحكامه .

ولم يزل شعار المسلمين في الهند منذ العهد الاول الاعتناء الكامل باللغة العربية ، والتعصب لها ، وقد حافظوا عليها كلغة التأليف والعلم ، وكان فيها شعراء مفلقون كالقاضي عبدالمقتدر الكندي الدهلوي (م ٧٩١ هـ) والشيخ أحمد بن محمد التهانيسري (م ٨٣٠ هـ) والشيخ غلام علي آزاد البلكرامي ، صاحب « السبع السيارة » (م ١٣٠٠ هـ) والمفتي صدرالدين الدهلوي (م ١٢٨٥ هـ) والشيخ فيض الحسن السهارينوري (م ١٣٠٤ هـ) والشيخ ذو الفقار علي الديوندي ، (م ١٣٢٢ هـ) وأدباء محققون كالاستاذ عبد العزيز الميمني ، والشيخ أبي عبد الله محمد السورتني .

ولا يزال المسلمون متمسكين باللغة العربية يدرسون

أمهات كتبها في مدارسهم التي يسمونها « المدارس العربية » ويؤلفون ويكتبون فيها ، وقد أصدروا في فترات مجلات وصحفا عربية تدل على عنايتهم بهذه اللغة ونشرها وإحيائها منها مجلة « البيان » الشهرية التي كانت تصدر من لكهنؤ ، ومنها صحيفة « الجامعة » الاسبوعية التي كانت تصدر من كلكتا وكان رئيس تحريرها مولانا أبو الكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطني بعد ، ووزير المعارف في الحكومة الهندية بعد ذلك ، ومنها مجلة « الضياء » الشهرية التي كانت تصدر من ندوة العلماء لكهنؤ ونالت اعجابا وتقديرا في الاوساط العلمية والادبية في البلاد العربية منشئها المرحوم الاستاذ مسعود عالم الندوي . ولا تزال مجلة « البعث الاسلامي » لسان حال الدعوة الاسلامية ورائد الفكرة الاسلامية تصدر من ندوة العلماء ، وصحيفة « الرائد » الندوية الاسبوعية تنشئها طلبة دار العلوم ويكتبون فيها .

وقد خَرَّجت دار العلوم التابعة لندوة العلماء طائفة من الكتاب البارعين في اللغة العربية وأوجدت نشاطا أدبيا ملحوظا في الهند ، ومحصولا ذا قيمة أدبية لاتجمل لمؤرخ الادب العربي أن يفعلهُ اذا اراد أن يستوعب الحركة الادبية في الاقطار الاسلامية، ويذكر مدارسها المختلفة .



نوابغ الشعب الهندي الاسلامي

ان مما يدل على نجابة أمة وصلاحياتها للبقاء نبوغ عبقرين فيها في مختلف شعب الحياة وميادينها وأصناف العلم ، والشعب الاسلامي في الهند غني في نوابغ الرجال ، والعبقرين في ضروب الكمال .

قد قامت في الهند دولة علمية اسلامية قوية منذ القرن السادس اجتمع في ظلها نوابغ كل فن ، وأئمة كل علم ، غزا التتار الشرق الاسلامي وأنزلوا على العالم الاسلامي البلاء والشقاء ، وخربت الحواضر الاسلامية ومراكز الحضارة والثقافة في العالم الاسلامي ، وبدأت موجات الهجرة والجلاء قوية واسعة في المدن التي كانت فريسة الغارات التتارية المغولية ، ونزحت أكثر البيوتات الشريفة والاسر العريقة في العلم والصلاح والشرف تهيم على وجهها في الارض وتبحث لها عن مأوى تأوي اليه ، وتعتصم به عن همجية التتر الوحوش ومعرتهم وتلقي به رحلها .

وكانت الهند التي يحكمها المماليك الاقوياء من السلالة التركية ، هي البلد الوحيد في الشرق التي صمدت للتتار والمغول ، وردت غاراتهم مرة بعد مرة ، فلجأ اليها في فترات كثيرة عدد من أكرم الاسر وأعرقها في العلم والذكاء والشرف في تركستان وايران ، وأقام في الهند عشائر كثيرة توارثت العلم والنبوغ

والشرف والمناصب الدينية كابر عن كابر ، وكثرت هذه العشائر في عصر شمس الدين التحشى وغيث الدين بلبن وعلاء الدين الخلجي ، يتحدث عنها وعن سبب هجرتها مؤرخ الهند القديم ضياء الدين البرني ويقول :

« ان هذه الاسر وهؤلاء الأشراف والسادة والعلماء الاجلاء انما هاجروا في حادثة جنكيز خان الملعون كان منها أمراء وقواد وأساتذة كبار وقضاة وشيوخ أجلاء ، ومربون كبار » (١)

ونبع في هذه الاسر الكريمة وفي من أسلم على يدها من الاسر الهندية الكريمة رجال في الدين والعلم والادارة والسياسة ، وكان منهم رجال عزّ نظيرهم في العالم الاسلامي .

نبع في الهند في هذا الشعب الاسلامي الهندي ملوك وامراء ووزراء وقادة للجيوش وعلماء ومؤلفون يتجمل بهم تاريخ الاسلام العام ويكاد يكون كثير منهم العكّم المفرد في بعض صفات الكمال ونسيج وحده فيها .

والذي يقرأ سيرة الحاكم العبقري شيرشاه السوري (٩٥٢هـ) ويعرف مآثره في إدارة البلاد ورفاهيتها ومشاريعه العمرانية الضخمة البديعة وقوانينه العادلة وتشريعاته الدقيقة وإنتاجه السريع الضخم — وقد ذكرنا بعض ذلك في الفصل السابق — ويعرف أن كل ذلك قد تمّ في خمس سنوات فقط ، وهي المدة التي

(١) راجع تاريخ فيروز شاهي عهد السلطان غياث الدين بلبن .

حكم فيها شيرشاه ، وبعضه يعجز عنه الحكومات الكبيرة المنظمة في آجال طويلة ، ولم يستطع كثير من الملوك والحكام الانجليز على كثرة الوسائل وتقدم المدنية وحدوث الآلات أن يأتوا ببعض ما أتى به هذا الملك العصامي في عصر متخلف في الصناعة والمدنية ، يهر بعظمة هذا الرجل ، ويؤمن بعبقريته ويصدق أن هذا الرجل فريد في العصور والامصار ويستحق أن يوضع في صف أعظم الرجال في العالم ^(١) .

والذي يقرأ سيرة السلطان أورنك زيب عالمكير (م ١١١٨) وما جمع من فضائل علمية وعملية ، ويقرأ تاريخه الحافل بجلائل الاعمال ويقرأ جهاده المتواصل الذي لم ينقطع ولم يتوقف يوماً واحداً في خمسين سنة حكم فيها ، وفتوحاته العظيمة واصلاحاته الكبيرة وتقشفه في الحياة وتحمله للشدائد ، واستقامته وصلابته ومغامراته في سن عالية ^(٢) ويقرأ نظام أوقاته ، ومحافظته على الفرائض والسنن مع إشرافه الدقيق على أوسع مملكة في عصره ، واشتغاله بالعبادات والعلم ، والمطالعة آمن بأن هذا الرجل لا يوجد له نظير في علو الهمة وقوة الإرادة في ملوك العالم وأنه خلق من حديد وأنه من نوادر رجال العالم في جميع العصور وفي جميع

(١) اقرأ ترجمته في « نزهة الخواطر » المجلد الرابع .

(٢) عمر أورنك زيب تسعين سنة ولم يزل مرابطاً مناضلاً إلى آخر ساعاته ، وفي كتاب (رجال من التاريخ) لعللي الطنطاوي طرف من ترجمته .

ومنهم السلطان الفاضل العادل المحدث الفقيه مظفر حليم الكجراتي (م ٩٣٢) الذي روى عنه التاريخ من نواذر الإخلاص والايان والاحتساب والتقوى والعمل بالعزيمة والعدل والايثار والحمية في الدين والتبحر في العلم ما يندر وجوده في سير كبار الزهاد والربانيين وكبار المخلصين فضلا عن الملوك والسلاطين ، والذي أبت همته وحميته أن يمكث في بلاد من أغنى بلاد الله وأجملها في الهند ، (ماندو) لما كلمه أمراؤه في أن يحتفظ بها بعد فتحها وأمر جيوشه بالانصراف وقال : إن أول خطوة خطوتها الى هذه الجهة كانت لله تعالى والثانية كانت لنصرة ملك مسلم ، وقد حصل المراد^(١) فلا أريد أن أحبط عملي وأخلط عملا صالحا وآخر سيئا •

والذي استطاع أن يقول في مرض وفاته تحديثا بنعمة الله :

« ما من حديث رويته عن أستاذي المسند العالي مجد الدين بروايته عن مشايخه إلا وأحفظه وأسنده وأعرف لرواية نسبته وثقته ، وأوائل حاله الى وفاته ، وما من آية إلا وقد من الله عليّ بحفظها وفهم تأويلها وأسباب نزولها وعلم قراءاتها ، وأما الفقه

(١) القصة مبسوبة في تاريخ كجرات للأصفي المعروف بمظفر الوالدة ، والكتاب بالعربية ، وكذلك في كتاب « نزهة الخواطر » ج ٤ وهي مروية في ترجمة من كتاب (رجال من التاريخ) لعلّي الطنطاوي .

فأستحضر منه ما أرجو به مفهوم ، من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، ولي مدة أشهر أصرف وقتي باستعمال ما عليه الصوفية واشتغل بما سنه المشايخ لتزكية الانقاس عملا بما قيل ، « من تشبه بقوم فهو منهم » وها أنا أطمع في شمول بركاتهم متعللا بعسى ولعل ، وكنت شرعت بقراءة معالم التنزيل وقد قاربت إتمامه إلا أنني أرجو أن أختمه في الجنة ان شاء الله تعالى *
وفاضت روحه وهو يدعو بدعاء سيدنا يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين » (١)

هذا في الملوك ، وأما في الوزراء فنجد مثل الوزير عماد الدين الكيلاني المشهور بمحمود كاوان (٨٨٦ هـ) الوزير العالم الفاضل الذي جمع بين رئاسة الدين والدنيا ، وطبقت شهرته الافاق ، واتفرد في حسن الادارة وكثرة العبادة ووفور التقوى ، وغزارة العلم ، وبلاغة القلم ، وصناعة الانشاء ومدحه العلامة عبد الرحمن الجامي الشاعر الصوفي المعروف ببسته السائر :

هم جهان راخواجه وهم فقررا ديباجه او ست (١)
آية الفقر ولكن تحت أستار الغنى

(١) اقرأ ترجمته الحافلة في « نزهة الخواطر » ج ٤ ،

(٢) انه سيد من سادات العالم ، وجمال للزهد ، وزينة

للتقوى .

ونجد مثل الوزير أبي القاسم عبد العزيز الكجراتي المشهور
 بآصف خان وزير كجرات المتوفى (٩٦١ هـ) العالم الاصولي
 الفقيه المحدث المدرس القدير الذي أفرد علامة الحجاز شهاب
 الدين بن حجر المكّي رسالة في مناقبه وذكر له فيها من الفضائل العلمية
 ومكارم الاخلاق ، والاشتغال بالعبادات ، والاخذ بعوازم الامور
 ودقائق التقوى ، والعكوف على المطالعة والتدريس وتشجيع
 العلم والعلماء والاحسان اليهم ، وحسن الاستقامة ما يحير
 الالباب ويدهش العقول ، ومدحه شعراء الحجاز بقصائده ،
 ورثوه على وفاته رثاء رقيقا حزينا (١)

ومنهم الامير الكبير الاديب الشاعر البطل الاعظم صاحب
 السيف والقلم ، عبد الرحيم بيرم خان الدهلوي قائد قواد
 الحكومة المغولية في الهند (م ١٠٠٥ هـ) الذي اضطر مؤرخ أمين
 لا يكيل المدح جزافا أن يقول في ترجمته :

« كان له من النقاوة التامة والشهامة الكاملة وعلو الهمة
 والكرم ما لا يمكن وصفه مع المعرفة للادب ومطالعة كتبه ،
 والاشراف على كتب التاريخ ، ومحبة أهل الفضائل وكرامة
 أرباب الرذائل ، والنزاهة والصيانة والميل الى معالي الامور حتى
 لم أجد ممن كان قبله أو بعده (٢) من يساويه في مجموع
 كمالاته (٣)

(١) اقرأ ترجمته في « نزهة الخواطر » المجلد الرابع .

(٢) يعني في الامراء والوزراء .

(٣) « نزهة الخواطر » ٣١٧ المجلد الخامس .

وقال عبد الرزاق الخوافي في مآثر الامراء :

« انه كان أوحـد أبناء العصر في الشجاعة والكرم ، ماهرا في اللغات المتنوعة من العربية والفارسية والهندية وغيرها ، وكان يتكلم في كلِّ من تلك اللسانة بغاية الفصاحة والطلاقة ، ويقول الشعر الرقيق البليغ فيها » .

وعبد الرحيم من الشعراء المعدودين في اللغة الهندية ^(١) الذين لهم في تاريخ أدب البلاد مكان مرموق محترم، ومن فحول شعراء الفارسية .

أظنَّ العالم الاسلامي بعد الغارة المغولية انحطاط في التفكير والتأليف وفقد الابتكار والابداع إلا في النادر ، وقد ظهر هذا الانحطاط في شكل واضح بعد القرن الثامن ، وبدأ الإعياء الفكري والاسترخاء الأدبي في أكثر نواحيه ولم ينهض إلا أفذاذ كان لهم إنتاج وابتكار ظاهر كالعلامة عبد الرحمن بن خلدون ، وعاشت الهند مدة طويلة في عزلة عن هذا الإعياء والعقم ، فقد كانت الهند لبُعدها عن الغارات التتيرية ووقوعها في أقصى الشرق الاسلامي من أقل البلاد تأثرا بالهجوم التتيري وويلاته ، وكانت للجوء كبار العلماء وكرام البيوت اليها لاتزال قوية في الحركة العلمية ، وبقي فيها نشاط وانتاج في العلم والتأليف والتفكير مدة طويلة ، ووجد فيها في فترات كثيرة رجال يستحقون أن

(١) هي غير اللغة الاردية وهي لغة الهند التي كان يتكلم بها أهل الهند قبل أن تنتشر لغة اردو .

يعدوا من نوابغ الاسلام ، ويبدو في مؤلفاتهم وأفكارهم شيء كثير من الابتكار والابداع والطرافة ، والشذوذ عن الاسلوب المؤلف المعروف في ذلك العصر كالشيخ شرف الدين أحمد بن يحيى المنيري البهاري (٧٧٢ هـ) صاحب الرسائل البديعة في الترية وحقائق الشريعة ، والشيخ أحمد بن عبد الرحيم ولي الله الدهلوي (م ١١٧٦) صاحب « حجة الله البالغة » و « ازالة الجفا » والشيخ رفيع الدين الدهلوي (م ١٢٣٣ هـ) صاحب « أسرار المحبة » و « تكميل الاذهان » والشيخ اسماعيل بن عبد الغني الدهلوي (١٢٤٦) صاحب « العبقات » و « منصب الامامة » الذين يجد القارئ في رسائلهم ومؤلفاتهم كثيرا من الافكار الطريفة والتحقيقات الجديدة ، والاستنباطات اللطيفة التي تخلو عنها كتب أكثر معاصريهم .

أصبحت الهند لاسباب تاريخية طبيعية ^(١) في العهد الاخير مركزا للدعوة الدينية القوية والتجديد الاسلامي العام الذي تخطى حدود الهند الى أقطار أخرى ، ووجد فيها دعاء ومجددون من أفضل الدعاة والمجددين الذين عرفهم تاريخ الاسلام في العهد الاخير قوة دعوة ، ورسوخا في العلم ، وعمق تأثير وانتشار رسالة ، وتشبها بالدعوة الاسلامية الاولى .

عرفنا منهم الشيخ أحمد بن عبد الاحد السرهندي (م ١٠٣٤ هـ)

(١) سوف نشرحها في كتابنا الجزء الثاني من « رجال الفكر والدعوة في الاسلام » .

الذي لقَّبته الهند بحق « مجدّد الالف الثاني » وقد ظهر منه تجديد صلة الشعب الهندي بالاسلام في هذه البلاد ، والاتصار للشرعية وحفظها من تحريف الغافلين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، والحاد المتصوفين الوجوديين ^(١) ومن صرف الحكومة المغولية القوية من اللادينية ، وتلفيق الاديان ، واِثَار البرهمية والوثنية الهندية التي اندفعت اليها بتهور وحساسة ، الى التدين بدين الاسلام واحتضانه ، ولم يكن الملك الصالح المؤمن المجاهد السلطان أورنگ زيب عالمكير إلا اُثرة من ثمرات دعوته وجهاده ^(٢) وانتشرت طريقته العلية بواسطة العلامة خالد الشهرزوري الكردي (م ١٢٤٢ هـ) ^(٣) في بلاد الروم والعرب والحجاز وبلاد الاكراد وسورية وتركيا انتشارا لم تعرف لطريقة .

وكان منهم السيد أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦ هـ) الذي قام بالدعوة الى الدين الخالص ، والجهاد في سبيل الله ، وتأسيس الحكومة الشرعية على منهاج الخلافة الراشدة ، ونفخ روح

(١) الفلاة في عقيدة وحدة الوجود .

(٢) تحدثنا عن ذلك قليلا في رسالة « الدعوة الاسلامية وتطوراتها في الهند » .

(٣) راجع كتاب « اصفى الموارد في ترجمة حضرة سيدنا خالد » تأليف الشيخ عثمان ، و « سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندى » تأليف العلامة محمد امين بن عمر عابدين صاحب « رد المحتار » (م ١٢٥٢ هـ) .

الجهاد والحماسة والتضحية في الهند ، وهبت بجهوده في الهند ريح الايمان وعادت تفحة من تفحات القرون الاولى ولم يعرف مثله في العصور الاخيرة في قوة التأثير وعلو الهمة ، والحمية الدينية ولم يعرف مثل جماعته وأتباعه في الصلابة في الدين والاستقامة على الشريعة وحبّ الجهاد ، وحسبك ما قال الامير صديق حسن خان صاحب المؤلفات الشهيرة الكثيرة :

« ولم نعرف ولم يخبر الناس بوجود رجل يضارعه في كماله في الماضي القريب في قطر من أقطار العالم والفوائد التي حصلت للمخلق من هذه الجماعة المنصورة لا يبلغ معشارها فوائد مصلحين آخرين من شيوخ الارض وعلمائها »^(١)

وقد أصبحت الهند مركزا في عهدنا للدعوة الدينية العالمية مرة أخرى وكان داعيها مولانا محمد الياس الدهلوي (١٣٦٣ هـ) من أقوى الدعاة الذين عرفهم العالم الاسلامي في العهد الاخير ولم نر مثله — في البلاد التي عرفناها وزرناها — في قوة الايمان بالغيب والاعتماد على الله وقوة الدعوة ، والانقطاع اليها، والتجرد لها ، والنجاح في مهمته ، وقد انتشر دعائه وجماعاته في العالم الاسلامي ، وهي في نشاط مستمر^(٢) وغدو ورواح في الاقطار

(١) تقصار جنود الاحرار ١١٠ و ١٠٩ .

(٢) يقوده ويشرف عليه خلفه البرالراشد مولانا محمد يوسف الدهلوي ومركزه نظام الدين في دهلي .

«الاسلامية وفي أوروبا وأمريكا واليابان ، وقد أشعلت هذه الدعوة
مجامر القلوب وألهبت جذوة الايمان في آلاف مؤلفة من المسلمين .

هذه أمثلة قليلة جدا من أعلام الهند ورجالاتها الكثرين في
مختلف ميادين الحياة وأصناف الكمال والنبوغ ، وإن نظرة
خاطفة في كتاب « نزهة الخواطر » الذي يتضمن تراجم خمسة
آلاف من أعيان الهند ورجالها تدل على غناها وخصبها ونتاجها ،
وكثرة من نبغ فيها ونهض من أرضها من أصحاب الفضل والكمال
والنبوغ .

ولم تزل ولا تزال خلية الاسلام في الهند تعسل ، والشجرة
التي غرستها اليد الكريمة المخلصة ، وسقاها ... الصالحون من
عباد الله بدموعهم والمجاهدون في سبيل الله بدمائهم في كل عصر
تثمر وتؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وكان في الشعب الاسلامي
الهندي في كل جيل وفي كل عصر رجال أثبتوا نبوغهم ورجاحة
عقولهم ، وذكاءهم النادر ، ومواهبهم الفريدة ، وتفوقهم الذهني
على الشعوب الاخرى وكان فيه — بعد استقرار الحكم الانجليزي
في البلاد رغم جهود الحكومة الانجليزية العظيمة في إخماد جذوة
الذكاء ، وتجنيف منابع الثقافة في هذا الشعب الاسلامي ^(١) نوابغ
في التشريع والقضاء ، وفي الادارة والحكم ، وفي علوم الرياضة
والحساب ، وفي فن التعليم وفلسفته ، وفي السياسة وعلم الاقتصاد

(١) اقرأ كتاب « W. W. Hunter : Indian Musalmans »

لأوليم هنتر .

وفي العلوم الطبيعية والكيمياء ، وفي الادب الانجليزي وتقده ،
أقرّ بفضلهم ونبوغهم علماء هذه الفنون في بلاد الانجليز ، وكان
منهم خطباء وكُتّاب ، ومؤلفون في الانجليزية لا يقلّون عن
أدبائها وكُتّابها في الاقتدار على اللغة والتصرف في مناهج الكلام
وجمال الاسلوب .

وكان فيه قادة سياسيون ، وزعماء ودستوريون ، وخطباء
يوضعون في الصف الاول من القادة السياسيين ، والزعماء
والخطباء في هذا العصر .

وكان فيه شعراء وقادة الفكر الذين كانوا اصحاب إبداع
وعبقرية في الشعر ، وأصحاب دعوة ورسالة في الفكر ، وتغنّى
بشعرهم الاسلامي إيران ، وأفغانستان ، وتركيا ، وترجم الى
لغات العالم الاسلامي .

اما الثقافة العربية فلا يزال الشعب الاسلامي الهندي متمسكا
بها ، محافظا عليها ، منتجاً فيها ، وتدل الآثار والقرائن على تكون
مدرسة أدبية خاصة فيها ، في الادب العربي والكتابة الاسلامية ،
تجمع بين البراعة الادبية والاشراق الروحي ، والايان العميق ،
والدعوة الصريحة القوية .

كل ذلك يدل على أن هذا الشعب الاسلامي الهندي — الذي
يمر بمرحلة عصيبة في حياته ويواجه مشكلات — صالح للبقاء ،
قائم بالكفاح وإنه صاحب شخصية قوية خالدة .

(١)

تأثير اللغة العربية في اللغات الهندية

من مظاهر تأثير المسلمين في ثقافة الهند وحضارتها تأثير اللغة العربية - التي تخصصهم والتي حملوها الى هذه البلاد - في لغات الهند ، ولهجاتها وأدبها وحضارتها .

ان تأثير لغة راقية متمدنة في لغة أخرى ليس بدعا من الامور ولا حادثا طريفا في تاريخ اللغات والثقافات ، ولم تزل الحضارات البشرية في كل طور من أطوار المدنية تتبادل الافكار والخواطر ، والكلمات وطرق التعبير ، ولم تزل في أخذ ورد وإفادة واستفادة وهذه طبيعة الحياة والرقي ، وكل لغة سدت في وجهها أبواب الاستفادة والاستعارة وبقيت متمسكة بتراثها القديم لاتزيد في ثروتها ولا تضيف الى قديمها فقد قطعت صلتها عن المدنية وحرمت نفسها الازدهار والتوسع ، وتخلفت عن ركب الحياة وأصبحت من اللغات الجامدة المحدودة التي لا تسعف الاديب والشاعر ولا تقضي حاجة الانسان الحي المتمدّن .

كنت أعتقد أن اللغة العربية تكون جزءا لا يستهان به من أجزاء لغة « أردو » التي هي مزيج اللغات الاربعة العربية

(١) حديث اذيع من الاذاعة الهندية في دهلي القسم العربي .

والفارسية والتركية والسنسكريتية ووليدها جميعا ، ولكنني كنت
أحدّ القضية في الكلمات العربية التي بقيت على شكلها العربي
في « أردو » وكنت أحدّ القضية في أردو التي لها نسب قريب
مع اللغة العربية ولكن شكرا للقائمين على إدارة الاذاعة الهندية
أن اقترحهم لحديث عن موضوع تأثير اللغة العربية في لغات
الهند ، أثار في نفسي رغبة في البحث عن هذا الموضوع ،
وأعترف أنني استفدت كثيرا وصادفتني في هذه الرحلة المستعة
شخصيات متكرة كانت ترتدي الحلة الوطنية فلما بحثت عنها
وجدتها عربية خالصة ، وإليكم مذكرة هذه الرحلة الشائقة ،
والتعارف اللذيذ والبحث المفيد .

كان واجبي قبل أن أبدأ هذه الرحلة أن أتأكد من وجود
جهاز السفر وثقاته ، لأنني سأجول في أنحاء الهند ، والبلاد عريضة
واسعة فانتقل ذهني الى كلمة « دام » التي تستعمل في أردو وفي
الهندية بمعنى النقطة والمال ، فاذا هي مأخوذة من كلمة درهم
العربية التي كانت تطلق في معنى المال مطلقا ، فيقال الدرهم
والدينار ، ثم انتقل ذهني الى أجزاءه وتفاريقه فمن تفاريقه
الصغيرة « كيرانت » التي لاتزال تستعمل في الاوراق المالية في
المقاطعات المتحدة الشمالية الغربية فاذا هي قيراط العربية ، وبهذه
المناسبة تذكرت كلمة (أشرفي) وهي العملة الذهبية التي كانت
تستعمل في القديم ، ولا تزال مستعملة في الكلام وبحثت عنها في

التاريخ فرأيت البحار العربي المشهور ابن ماجد أسد البحر يقول في كتابه « الفوائد في أصول البحر والقواعد » « والحادي عشر برسى الاشرف ضارب سكة الاشرفي » .

ونزلت ضيفا في هذه الرحلة عند صديق هندي كريم أكرم وفادتي وأحسن ضيافتي ، وتأنق في صنع الاطعمة واستعرضت مائدته السخية فاذا من أنواع الاطعمة « فيرني » وهو رزمسحق يطبخ مع اللبن الحليب والسكر ، وكان يقال له في القديم « المهلبية » وبحث عنه فوجدت محمد الخوارزمي يذكر في الاطعمة التي كانت تهيأ للمرضى « الفراني » وكان يتركب من رغيف يختبر عجينه كان ينقع في اللبن ويضاف اليه السكر .

وكان من أنواع هذه الاطعمة « قلية » ويطلق على إدام اذا كان فيه لحم ومرق وخضر وأصلها العربي « قلية » بالتشديد وهو من قلى يقللي قليلا اللحم وغيره أنضجه ، وكان بجوار القلية « كباب » وهو من الكب ، وهو القلب على الوجه ، ويطلق على الطعام الذي يشوى مقلوبا على النار وفي المعاجم العربية « كبب عمل الكباب » وإن أنس في هذا الصدد فلا أنس « شوربه » التي يراد منها المرق وأصلها شربة وهي ما تشرب دفعة واحدة .

وعجبت لما سمعت مضيفي يطلب النار جيلة على عادة أهل الهند ويأمر الخادم بتهيئة « سلفه » وهو مصطلح من مصطلحات أصحاب النار جيلة وفكرت فيها وفي أصلها فاذا أصلها عربي ،

والسلفة في لغة العرب « ما يعجل الرجل من الطعام قبل الغداء » .
ولما انتهيت من الطعام التفتُ الى البيت وأثاثه فوجدت
بدهشة أن كثيراً من أجزائه لها أسماء عربية ولا يعرف الناطقون
بها أن أصلها عربي صميم فأول ما استرعى نظري « الزريية »
التي كنت جالسا عليها ويسمونها أهل الهند « قالين » فوجدت أن
أصله « القالي » وهو الفراش المنسوب الى قالقلا وكانت مدينة
على نهاية المملكة الاسلامية واليها نسب أبو علي القالي ، يقول
ياقوت الرومي في معجم البلدان : « وتعمل بقاليقلا هذه البسط
المسماة بالقالي اختصروا في النسبة الى بعض اسمه لثقله » .

ومن أثاث البيت ورياشه انتقل فكري الى من يرجع اليه
الفضل في تكون هذا البيت ووجوده بهذا الشكل الطريف ، وهو
البناء المتواضع فوجدت أنه يسمى في الهندية « راج » وهالني
أنها كلمة عربية بتغير حرف واحد ، ففي المعاجم العربية : « الراز
رئيس البنائين وأصله رائزكشات وشائك ، والريازة حرفة الراز » .
ومقدم البنائين والحاذق منهم يسمى في الهند « مستري »
ووجدت أنه محرف من مسطري ، وهو البناء الذي كان يحمل
المسطر لتسوية الجدران وتقويمها .

ومن أشغال البنائين والنجارين الخراط والخراط يقال خراط
العود يعني سواه بالمخرطة وخراط الحديد طوله كالعمود ، ولا
يزال مستعملا في أردو فيقال « خراد » وما هو الا الخراط لفظا
ومعنا .

واستعرضت آلات البناء والتصميم فاذا كثيرا من كلماتها ومصطلحاتها عربي ، فمنها « ساهول » وهي حديد تربط في خيط طويل لتسوية انجدران ، وقد ذكر الخوارزمي آلة في مفاتيح العلوم وسماها شاقول ، ووصفها بقوله « هو ثقل يشد به في طرف جبل يسده سفلا يحتاج اليه النجارون والبناءون » •

ومنها « كنئى وكونيا » وهو الكونيا قال الخوارزمي « يقدرون بها الزاوية القائمة » •

ورأيت البيت مبيضا قد جدد تنويره فتذكرت كلمة « قلعى » التي هي في الهند بمعنى التنوير ، ورأيت صاحب لسان العرب يقول :

« والقلعي الرصاص الجيد وقيل هو الشديد البياض ، والقلع اسم المعدن الذي ينسب اليه الرصاص الجيد » •

ورأيت رجلا واقفا على باب مضيفنا الكريم كالحارس فانتقل ذهني الى كلمة « أَحْدَى » وهو الكسول الذي يكون جلس البيت يأكل من غير تعب عيالا على غيره ، ومصدره رجل مفرد كان يقف على باب الملوك والاعنياء يحرس بيوتهم وكان بطبيعة الحال عاطلا لا شغل له ويعيش على رواتبهم وفتات مائدتهم ، ومن هنا نشأت فكرة « احدى » يعني الرجل الكسول الذي يقضي وقته في البطالة •

ودعاني صديقي الى الخروج للنزهة والتفرج فوثب فكري الى كلمة « تماشا » التي يراد منها في الهند وفي كثير من لغاتها

المحلية التفرج فاذا أصلها « تماشي » وهو المشي مع أصدقاء وزملاء
للتفرج والتزهر وقد أصبحت مفتوحة على قاعدة الفارسية
فيقولون « تمنى » بدل « التمني » و« تماشا » بدل التماشي ،
و« تحاشا » بدل التحاشي •

ولا يسع هذا الحديث الوجيز أن يستوعب جميع الكلمات
أو نصفها التي تعرفت بها بصفتها كلمات عربية أصيلة صميّة في
هذه الرحلة القصيرة وجزى الله عن أهل العلم أستاذنا العلامة الكبير
الدكتور السيد سليمان الندوي رحمه الله اذ بحث في هذا الموضوع
بحثا علميا دقيقا وعرض أمثلة جميلة من هذا القبيل ^(١) ولا يزال
المجال واسعا أمام الباحثين والمنقبين في اللغة بشرط أن يكونوا
متوسعين في معرفة اللغتين اللغة الهندية واللغة العربية ، مطلعين
على مصادرهما القديمة يحملون عناء البحث والتنقيب في المعاجم
ودواوين العربية ، لا يتهورون ولا يسرعون بالحكم ، ويراقون
هذه الكلمات في رحلتها الطويلة ، من بادية العرب وعواصم العالم
العربي الى صحراء السند الى أودية الكنج الى شاطئ بحر
العرب ، وفي جميع أطوارها ومراحلها ، واذا فعلوا ذلك رأوا كيف
نقذت اللغة العربية في اللغات الهندية وكيف تسربت ، وغزت
الثقافة الهندية والحضارة الهندية ، حتى امتزجت بلحمها ودمها ،
وأصبحت جزءا من أجزائها لا ينتبه لكونها كلمات عربية فصيحة ،
إلا أفاذا من الباحثين وأفراد من المحققين ••

(١) له في هذا الموضوع بحثان في مجموع مقالاته الادبية
واللسانية ومحاضراته ، الذي سماه « نقوش سليمان » .

مراكز العلم والثقافة الإسلامية في الهند

إن أكبر معهد ديني في الهند يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير ، بدأ هذا المعهد كمدرسة صغيرة لا تسترعي الاهتمام ثم لم تزل تتوسع وتتضخم بفضل جهود أساتذتها والقائمين عليها وإخلاصهم وزهدهم في حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا .

وكان افتتاحها في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنيور في مسجد صغير سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف هجرية ١٢٨٣ هـ ، أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوي المتوفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية ١٢٩٨ هـ ، وكان الإعتماد فيها على الله ثم على تبرعات عامة المسلمين ورزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين ، فسرت فيها روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة ، ولم يزل نطاق المدرسة يتسع ، وصيتها يذيع ، وشهرة أساتذتها في الصلاح والتقوى والتبحر في علم الحديث والفقه تطير في العالم ، حتى أمّتها الطلبة من أنحاء الهند ، ومن الاقطار الإسلامية الأخرى حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير (١) خمس

(١) عام ١٣٨٠ هـ .

مائة وألف (١٥٠٠) وزيادة •

ويقدَّر عدد الذين اشتغلوا في هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف ، والذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف ، والذين ارتقوا بمنازلها من أهل خارج الهند كباغستان وأفغانستان وخيوا ونجارا وقازان وروسيا ، وأذربيجان ، والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى ، وتبت والصين وجزائر بحر الهند ، والحجاز والاقطار العربية نحو خمسمائة •

وكان للمتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند ، وفضل كبير في محو البدع وإزالة المحدثات وإصلاح العقيدة والدعوة الى الدين ، ومناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محموددة في السياسة والدفاع عن الوطن ، وكلمة حق عند سلطان جائر •

وشعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين ، والتصلب في المذهب الحنفي والمحافظة على القديم ، والدفاع عن السنة •

وتلك دار العلوم الديوبندية في كثرة الطلبة والاعتناء بالعلوم الدينية ، مدرسة « مظاهر العلوم » في مدينة سهارنور التي تأسست في ثلاث وثمانين ومائتين وألف أيضا ، وهي تشارك دار العلوم في العقيدة والمبدأ والشعار •

وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء الصالحين والرجال العاملين في ميادين العلم والدين ولعلمائها ومتخرجيها آثار جليلة

في شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف ، وتمتاز هذه المدرسة وأساتذتها وطلبتها ببساطة في المعيشة والقناعة بالكفاف ، والقوة في الديانة •

وتقابل مدرسة ديوبند وشقيقاتها وما كان على شاكلتها من المدارس الدينية القديمة ، الجامعات المدنية العصرية التي أسسها المسلمون في عليكره ودهلي وحيدر آباد ، لتعليم أبناء المسلمين وشبابهم العلوم العصرية واللغات الاجنبية وإعدادهم للوظائف الرسمية والمراكز الحكومية وللمساهمة في حياة البلاد وخيراتها وإدارتها ، وأشهر هذه الجامعات وأقدمها وأعظمها تأثيرا في عقلية المسلمين وسياستهم جامعة «علي كره» الاسلامية التي تعد من أرقى الجامعات في الهند وأوسعها ، أسسها الزعيم المسلم الشهير سرسيد أحمد خان باسم «مدرسة العلوم» وقد أصيب المسلمون في إثر اخفاق الثورة العظيمة التي قاموا بها سنة سبع وخمسين وثمان مائة وألف بجمود تعليمي واجتماعي وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم ومستقبلهم وأصابتهم دهشة الفتح وأسأت الحكومة الانجليزية الظن بهم واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها ، فأصبح المسلمون - الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب - لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم ، ورأى السيد أحمد خان - وكان رجلا شديد التأثير مرهف الحس - أن علاج ذلك هو تعلم الانجليزية

وآدابها وعلومها التي قاطعها المسلمون ، والظهور في مظهر سيّد البلاد في الزي واللباس والحضارة والاجتماع حتى يزول « مركّب النقص » وتولّي الوظائف الحكومية ، وقد نجحت جامعة عليكره في رسالتها نجاحا كبيرا وأقبل عليها أبناء الأسر الشريفة « الارستقراطية » في عدد كبير ، وتخرّج فيها رجال كثير شغلوا وظائف كبيرة في الحكومة وتمتعوا بثقتها ، وقد لعبت الجامعة وأبنائها دورا مؤثرا في حياة المسلمين وسياسة البلاد ، ومنها نبتت حركة القومية الاسلامية تقابل حركة القومية الهندية والوطنية يتزعمها رجال من الطبقة الارستقراطية في المسلمين ، وميزانيتها السنوية نحو ٤٠٠٠٠٠ جنيه (أربع مائة الف جنيه) وفيها نحو خمسة آلاف طالب في هذه السنة (١٩٦٠) .

وقد انفصل عن جامعة عليكرة بعض ابنائها وخيرة متخرجيها أيام حركة الخلافة والوطنية ، وأسّسوا جامعة شعبية مستقلة في السياسة وتعليمها سنة ١٩٢٠ ، يتزعمها الزعيم الاسلامي الكبير مولانا محمد علي وقد انتقلت من عليكرة الى دهلي واشتهرت باسم « الجامعة الملية الاسلامية » يمتاز أساتذتها وإدارتها وكان على رأسها الرجل التعليمي العالمي الدكتور ذاكر حسين حاكم ولاية بهار الحالي - بنزعتهم الوطنية وروح التضحية والايثار ، ظلوا مدة طويلة يكافحون التيار ، ويعيشون في شظف وعسر وكان لهم نشاط ظاهر في ميدان الثقافة والتعليم ومحصول ذو

قيمة في الادب والعلوم ، وهي الان من الجامعات التي تنفق عليها
حكومة الهند •

وتمتاز الجامعة العشانية في حيدر آباد بأنها جامعة درست
العلوم العصرية في « اردو » لغة الهند العلمية وعُثيت بنقل
العلوم الحديثة وترجمه الكتب المهمة في الفلسفة وعلوم الطبيعة
والطب والسياسة والاقتصاد والتاريخ إلى اردو ووضع
المصطلحات العلمية فيها ، وبذلك أدت خدمة عظيمة للمسلمين
وثقافة الهند •

وتتوسط بين المدارس القديمة التي تمسك بالقديم وترى
العدول عنه ضربا من التحريف ونوعا من البدع ، وبين الجامعات
المدنية التي تقدس الجديد وتستهن بكل قديم ، تتوسط بين تلك
وهذه دار العلوم التابعة لندوة العلماء التي تأسست في لکهنؤ
سنة اثنتي عشرة وثلاث مائة و الف هجرية بيد العالم الرباني
الشيخ محمد علي المونكيري وزملائه المخلصين الذين خافوا
على المسلمين من المحافظين ومن المتطرفين ومن اعتزال العلماء عن
الحياة وتخلفهم عن ركب الثقافة والعلم ومن العصبية المذهبية
والمشاجرات الفقهية التي قويت ونشطت في العهد الاخير •

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ
التوسط والاعتدال والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ،
وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور

ويتقدم ، بين ضوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص ، وقامت من أول يومها على الايمان بأن العلوم الاسلامية علوم حية نامية وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد فيجب أن يتناوله الاصلاح والتجديد في كل عصر ومصر وأن يزداد فيه ويحذف منه بحسب تطورات العصر وحاجات المسلمين وأحوالهم •

عُنيَت دار العلوم بصفة خاصة بالقرآن الكريم - الرسالة الخالدة - وتدرسه ككتاب كل عصر وجيل ، وعُنيَت باللغة العربية التي هي مفتاح فهمه وأمينه خزائنه ، ووجهت عنايتها الى تعليم هذه اللغة الكريمة كلغة حية من لغات البشر يكتب بها ويخطب لا كلغة أثرية دارسة لا تجاوز الاحجار أو الاسفار كما كان الشأن في الهند ، وقلّلت قسط بعض العلوم القديمة التي لاتفيد كثيرا وأبدلتها ببعض العلوم العصرية التي لا غنى عنها للعالم العصري الذي يريد أن يخدم دينه وأمته ، واجتهدت أن تخرج رجالا مبشرين بالدين الاسلامي الخالد لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الاسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وبأسلوب يستهوي القلوب ، أمة وسطا بين طرفي الجمود والجحود ، وقد نجحت في مهمتها نجاحا لا يستهان بقيمته فأنجبت رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصري ، لهم آثار جميلة خالدة ، في الادب الاسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد ، والسيرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - والتاريخ •

وعلى طرازها مدرسة كبيرة تسمى « مدرسة الإصلاح » في
سر أليم أسسها العالم الكبير الشيخ حميد الدين الفراهي عام
١٣٢٦ هـ (١٩٠٩ م) ولها عناية خاصة بالتفسير وفهم القرآن
على طريقة مؤسسها الشيخ الفراهي •

وقد أسس المتخرجون في الندوة « دار المصنفين » أعظم
كره عام ١٩١٤ م وهي من المؤسسات العلمية الكبيرة في الهند
وكان العلامة السيد سليمان الندوي رئيسها مدة وجوده في الهند
نشرت كتباً كثيرة متنوعة في الدين والادب والتاريخ بلغ عددها
الى عام ١٣٨٠ هـ الى تسعين كتاباً لاتستغني عنها مكتبة في الهند
وهي تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم « معارف » يحررها
الاستاذ معين الدين أحمد الندوي •

وفي دهلي مؤسسة علمية تصدر كتباً في الثقافة والتاريخ وهي
« ندوة المصنفين » نشأت عام ١٩٣٨ م وتصدر مجلة علمية
شهرية وهي مجلة برهان يحررها الاستاذ سعيد أحمد الأكبر
آبادي رئيس القسم الديني في جامعة عليكره ولها مطبوعات
قيمة حازت القبول والتقدير في الاوساط الاسلامية العلمية بلغ
عددها الى (٨٨) الى عام ١٣٨٠ هـ •

وفي كهنؤ « المجمع الاسلامي العلمي » قام حديثاً وهو
يعمل في الوسط المثقف بالثقافة الجديدة ، ومن أقدم الجمعيات
التعليمية التي كان لها فضل في نشر الوعي السياسي والثقافي

« مؤتمر التعليم الاسلامي العام » الذي أسسه سيد أحمد خان عام ١٨٨٦ م في عليكره يعالج قضية تعليم الشباب المسلم في مدارس الحكومة ، ومنه نبت « العصبة الاسلامية Muslim League » عام ١٩٠٦ م ، وقد ضعف نشاط هذا المؤتمر بعد التقسيم لتغير الوضع السياسي والثقافي في الهند .

ومن المؤسسات العلمية الكبيرة التي كان لها فضل كبير في إحياء الكتب الدينية والعلمية وبعثها من مدافنها في المكتبات العتيقة ونشرها في العالم الاسلامي دائرة المعارف في حيدر آباد التي تأسست عام ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٨ م بتوجيه العلامة السيد حسين البكرامي ومولانا عبدالقيوم ومولانا أنور الله خان أستاذ سمو النظام ، وقد نشرت أكثر من مائة وخمسين كتاباً قيماً ، من كتب الحديث وأسماء الرجال والتاريخ والعلوم الرياضية والحكمة حرمها العالم الاسلامي والأوساط العلمية من عهد بعيد وتسامع بها العلماء والمدرسون فكانت خدمة جليلة للعلم والدين وبرهاناً على ما كان - ولا يزال - للمسلمين من اتصال روحي وفكري بالثقافة الاسلامية وحب عميق لها ، وقد اعترف بجهود هذه المؤسسة العظيمة وجلالة عملها وقيمة ما تنشره من التراث العلمي كبار العلماء ورجال الثقافة في الشرق وأوربا ، وقد قال العلامة الشيخ إبراهيم الجبالي رئيس بعثة الازهر التي زارت الهند عام ١٩٣٧ م :

« إنا نعترف لرجال دائرة المعارف بحيدر آباد بتلك الجهود الموفقة التي بذلوها في خدمة العلم ونشر الثقافة العربية ، فقد وجهوا همهم العالية إلى إحياء الكتب القيمة التي جادت بها قرائح الأئمة المتقدمين وأتى عليها حين من الدهر ، وهي مختفية عن الاعين حتى عفارسمها ، وإن كان لا يزال يملأ الأسماع اسمها وطالما تشوقت الأذهان إلى الارتشاف من بحارها كما استقيت الآذان بشهرتها ، واسمها فعمدوا - حفظهم الله - إلى التنقيب عنها والسعي وراء العثور عليها ثم مقابلة نسخها لإزالة ما علق بها من التشويه حين نسخها ثم تكميل ما نقص منها وتصحيح الغلطات التي أدخلت عليها ، لا يزالون في سبيل ذلك بما يتكبدون من مشاق الأسفار ومتاعب النقل والتصحيح والمقابلة وما يتحملون في سبيل ذلك من عظيم النفقات المالية (١) » .

ولما قررت الجامعة العثمانية في حيدرآباد تدريس العلوم والفنون في « أردو » أنشأت « دار الترجمة » في سنة ١٣٣٥ هـ وقد نشرت ٣٥٨ كتابا في التاريخ والجغرافية والسياسة وعلم الاقتصاد والدستور وعلوم العمران والفلسفة والمنطق وما بعد الطبيعة ، وعلم النفس والأخلاق وعلوم الرياضة والطبيعة وعلم الحياة والكيمياء والطب والهندسة ، وغيرها ، وكان من أعمالها الجليلة وضع المصطلحات العلمية وترجمة المصطلحات من اللغات الأوروبية إلى أردو .

(١) رسالة علمية تاريخية طبع دائرة المعارف - ح ، ط ، .

وكانت ميزانيتها السنوية ٢٦١٤١٥ جنيها ، وقد وقفت وعطلت بعد التقسيم سنة ١٩٤٨ م ووقع في مكتبتها حريق أتلفها (١) ، وضيّع هذا التراث الثمين ، وللجماعة الاسلامية التي مركزها الهند نشاط طيب ونتاج ذو قيمة في نشر الادب الاسلامي ، وتأليف الكتب الدراسية للنشء الاسلامي في « اردو » و « الهندية » وبها مدرسة نموذجية في « رامبور » .

وللمسلمين في جنوب الهند (مدارس وكيرله بلادملابار) نشاط كبير في نشر التعليم الديني والمدني وتأسيس المدارس الدينية العربية والكليات الاسلامية ، ويستاز أهل ملابار في ولاية كيرله بشغفهم باللغة العربية وتمسكهم بها ولهم مدارس منتشرة في المديریات والمدن الكبيرة وما يتبعها من القرى ، تعلّم فيها اللغة العربية كروضة العلوم وسلّم السلام ومدينة العلوم وغيرها ، وعلماء هذه المنطقة أقدر على اللغة العربية منهم على لغة اردو التي هي لغة الشعب الاسلامي في الهند ، حتى يحتاج زائر من الشمال إلى التفاهم معهم عن طريق اللغة العربية .

وفي مدراس مدارس عربية من أشهرها « الباقيات الصالحات » في ويلور Vellore وجامعة دار السلام في عمر اباد وقد كانت المدرسة الجمالية في مدراس مدرسة جامعة ومركزا ثقافيا في الماضي

(١) كثير من الناس يعتقدون ان هذا الحريق كان عن مؤامرة لانتلاف هذا الكنز الثمين .

ولكن توقف نشاطها أخيراً، وهناك مشروع لإحيائها وإعادة نشاطها •
 وللمسلمين في الجنوب كليات اسلامية كبيرة من أشهرها
 الكلية الجديدة New College في مدراس والكلية الاسلامية في
 واينم بادي Vaniyam badi وكلية جمال محمد في ترشنايلي
 Tiruchira Palli والكلية العشمانية في كرنول Kumool
 وكلية فاروق في ملابار تنفق على أكثرها رابطة التعليم الاسلامي
 بجنوبي الهند •

وقد عني الامراء والأقوال وكبار العلماء باقتناء مكتبات
 عظيمة وشغفوا بها شغفا عظيما ، ومن أغنى مكتبات الهند ودور
 الكتب واجمعها للكتب النادرة والآثار الثمينة ومخطوطات
 المؤلفين ونوادير الكتاب مكتبة يانكي بور في يتنة وهي مكتبة
 المرحوم القاضي خدا بخش خان ، ومكتبة إمارة رامبور والمكتبة
 الآصفية في حيدر آباد ، ومكتبة السرى الفاضل الشيخ حبيب
 الرحمن الشيرواني رئيس الامور الدينية في حيدر آباد سابقا ،
 في عليكرة ، ومكتبة ندوة العلماء في لکهنؤ ، ومكتبة دار العلوم
 ديوبند ، ومكتبة جامعة عليكرة ومكتبة الشيخ ناصر حسين ابن
 الشيخ حامد حسين الكنتوري في لکهنؤ •

وقد زارت الهند بعثة أوفدتها الادارة الثقافية لجامعة الدول
 العربية سنة ١٩٥٢ م لتصوير الكتب النادرة الخطية الموجودة في
 مكتبات الهند فزارت عواصم الهند ومكتباتها الكبير وأخذت
 صور مئات من الكتب النادرة •



المسلمون في الهند شعب ممتاز

إن المسلمين مع امتزاجهم بالعنصر الهندي وتأثرهم الواسع العميق بطبيعة البلاد وشعوبها وثقافتها الذي نوه به « جوستاف لوبون » في كتابه « حضارة الهند » لا يزالون شعبا ممتازا في أخلاقه وطبيعته واتجاهاته ومنهج حياته ، وعاداته التي أصبحت طابعا يتميز به المسلم في كل ناحية من نواحي الهند ، وهي الرابطة التي تربط المسلم في الشرق بأخيه المسلم في الغرب ، والمسلم في الجنوب بالمسلم في الشمال حتى يكون أشبه به من مواطنه الهندوكي الذي يعيش بجواره ويتكلم بلغته .

إذا قدّر للقارئ الكريم أن يزور الهند من بلاد بعيدة ويختلط بالشعوب الهندية ويدخل في المجتمع الهندي لاحظ أن هناك شعبين ممتازين وحضارتين ممتازتين ، ومجتمعين ممتازين ، وتجلّى له هذا الامتياز في مختلف نواحي الحياة ، وفي مختلف مظاهر المدنية ، وفي الاخلاق والنزعات .

إذا كنت ضيفا عند صديق لك مسلم — وليس من اللازم أن تسبق بينكما معرفة أو تقوم بينكما صداقة — فالمسلم أخو المسلم ، والمسلم الغريب ضيف أخيه المسلم المقيم ، قدمت اليك مائدة واسعة فيها أوان كبيرة وصحون واسعة — بخلاف الطريقة الهندية القديمة — وأرغفة كبيرة ، وكمية من الطعام كبيرة تفضل

عن الضيوف ويجتمع عليها الضيوف وتختلف أيديهم في الصحون
إن أحبّوا ذلك فالقلب واسع ، والبيت واسع ، والمائدة واسعة ،
وتجرب ذلك في كل بقعة من بقاع الهند وفي كل أسرة اسلامية ،
آلهم إلا إذا انقطعت صلتها عن الحضارة الاسلامية ، وعاشت في
المجتمع الهندي القديم واندمجت فيه .

وإذا أراد واحد من المسلمين أن يأكل في القطار أو في غرفة
الانتظار لا بد أن يدعوكم الى الطعام ويلحّ عليكم .

إن هذا الاختلاف بين حضارتين عاشتا في الهند جوارا بجوار ،
وإن هذا الاختلاف في طبائع شعبين هنديين لا يزالان يعيشان في
دار ، وإن هذه الأناقة التي تتسم بها الحضارة الاسلامية في الهند ،
ورحابة الصدر واحترام الانسانية الذي يمتاز به المسلمون في
الهند استرعى انتباه كثير من الزائرين والرحّالين من خارج الهند ،
وقد أغرى ذلك بعض الأذكىاء والناهيين بدراسة الإسلام وروح
الحضارة الاسلامية والاقتناع بالدين الاسلامي الذي خلق في
أتباعه هذا التسامح وهذه النظرة الواسعة واحترام الانسان
وحبّ الأناقة والنظافة في كل شيء ورفع مستوى الحضارة ،
وكان سببا في إسلام بعضهم وقد حكى العلامة محمد إقبال
قصتين طريفتين لبعض أصدقائه الانجليز نقلهما هنا :

يحكي المستر داؤد آليسن (David Opson) الصحفي
الانجليزي الذي كان يصدر من لاهور صحيفة انجليزية مشهورة
اسمها (Muslim Out Look) قصة إسلامية يقول فيها :

قدمت من انكلترا وأقيمت في بمباي فكان أصدقائي الرجال الذين
 كانوا يسهمون في الحركات السياسية ولم تكن لي صلة بالاطراف
 الدينية في بمباي وبدأت أسهم في الحركات السياسية في الهند ،
 وهنالك قابلت بعض المسلمين وبدأت أتردد إليهم ، ومرة دعاني
 مسلم وجيه الى تناول الغداء عنده ومدت مائدة على الطريقة
 الاسلامية وقدمت أطعمة شائعة في الشعب الاسلامي وأعجبت
 بالأناقة وسلامة ذوق الشعب الاسلامي ولطافته وقلت في نفسي
 إن شعبا رقت حضارته وكملة آدابه ، وبلغ من سلامة الذوق
 ولطافة الحس هذا المستوى الرفيع لابد أن يكون على مستوى
 رفيع في الدين والروحانية ، ويتصف بالنظافة والاناقة في كل شيء
 وهكذا أقبلت على دراسة الاسلام وحياة المسلمين وتبين لي
 أن الاسلام على قمة من العلو والظرافة ، بعيد في كل شيء عن
 السخافة والسماجة والإسفاف ، وتتجلى هذه الاناقة والرقّة
 والسمو في حضارته وفي طعامه ولباسه كما تتجلى في عباداته وفي
 أعماله وأخلاقه ، وكل من يدين بالاسلام ويدخل فيه يعلو عن
 المستوى الذي قد عاش فيه .

والقصة الثانية قصة عالم انجليزي قدم الى الهند ليضع كتابا
 عن الحياة في قرى الهند ودعاه الاختلاف الذي شاهده في سلوك
 القروي المسلم والقروي الهندوكي ونظرتها الى الانسان إلى أن
 يحب الاسلام وأهله ثم يدخل في الاسلام ، ولنسمع قصته كما
 حكاها الدكتور محمد إقبال : يقول العالم الانجليزي :

« كنا نتجول كل صباح ومساء بين المزارع الحقول في قرى الهند ، واتفق لنا أن خرجنا من منزلنا في الصباح وابتعدنا عن محلنا وكان الزمن زمن الحصاد وكان الرجال والنساء منبئين في الحقول يحصدونها ، وعطشتُ وبحث عن الماء فلم أجده إلا عند فلاح وكان الماء في جرة صغيرة وأشاروا إليّ بأن أجمع كفي ، وجعل الفلاح يصب من فوق وأنا أكرع كالذابة ورويت وانصرفت ، ولم أمش خطوات إلا سمعت هدة ، والتفتُ ورأيي فاذا بزوج الفلاح قد رمت الجرة على الارض فكان لها صوت ، وقد انفجرت تسب زوجها و تؤنبه تأنيبا شديدا لأنه نجس الإناء وضيّعه وعجبت من هذا السلوك ومن إهانة الانسان للانسان وأن يعامل أحد بني جنسه معاملة الكلاب .

وعطشت مرة أخرى فكانت التجربة مختلفة عن التجربة الاولى كل الاختلاف ، طلب رفيقي لي الماء من فلاح آخر فاستقبله بالابتسام والترحيب وقدم الي إناء من خزف وأردت أن أجمع كفي وأكرع كالمرّة الاولى فضحك الفلاح ، وقال : لا داعي إلى هذا إشرب هنيئا ، وشربت في حرية ، وانطلقنا وأنا أنتظر أن أسمع هدة كالأولى وانتظرت أن أسمع تأنيبا من امرأة الفلاح كما سمعت أول مرة ولكن شيئا من ذلك يحدث فتعجبت لهذا الاختلاف الواضح بن رجلين من طبقة واحدة ومن بلد واحد وسألت عن السبب وقيل لي : إن الفلاح الثاني مسلم لا يعتقد نجاسة الانسان بل يؤمن بكرامته وشرفه ويؤمن بأن الناس كلهم

من آدم وآدم من تراب ، وهكذا علّمه القرآن وعلّمه رسول
الانسانية ، ولذلك انتشر الاسلام هذا الانتشار الواسع في القارة
الهندية وكان ذلك سبب عنايتي بدراسة الحضارة الاسلامية
والدين الاسلامي وسبب اهتدائي للاسلام » •

ومن سمات هذا الشعب الاسلامي الهندي وطبيعته حبه للنبي
العربي صلى الله عليه وسلم حبا أصبح له شعارا وسمّة وظهر في
حياته وأدبه وشعره ، وقد نبغ في الهند أشعر شعراء « النبويات »
والمدائح النبوية — بعد الجامي والقدسي وبعض شعراء ايران —
ونظمت فيها أبلغ قصائد ومنظومات وأبيات في المدح النبوي ،
ونشأ أدب زاخر قوي ومكتبة عظيمة غنية في الشعر الفارسي
والاردي والهندي في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصف
حليته وشمائله ونظم سيرته وغزواته فيه كل معجب مطرب ،
يثير الحنان ، ويقوّي الايمان ، ويدل على قوة العاطفة الدينية
والحب العميق المخلص والشاعرية القوية ، ونبغ في هذا الموضوع
شعراء كبار واتقطع بعضهم الى هذا الموضوع ووهبوا له قريحتهم
ومواهبهم وحياتهم •

ومما يمتاز به الشعب الاسلامي الهندي اتساع أفق فكره
وحرصه على الاتصال بالعلم وترده على حدود العنصرية والقومية
الضيقة ، والوطنية المحدودة ونزعته الدائمة الى العالمية والآفاقية ،
وذلك سرّ اندفاعه إلى كل حركة ترمي الى الوحدة الانسانية
والجامعة الاسلامية ، ولذلك لم يزال هذا الشعب يعطف على

القضايا الاسلامية ويتبنّاها ويتألم لها ويشور كأنها قضيتـه الخاصة ، وقد ظهرت هذه الحماسة وهذا العطف في أروع مظاهره . زمن حركة الخلامة ، وقد اكتسب لها الشعب بسخاء وأريحية وحماسة لم تعرف في قضية أخرى ، وهكذا ظهر منه في حرب طرابلس وبلقان ، من الاهتمام بأمر المسلمين والتألم بما نابه ما يدل على قوة الايمان بالجامعة الاسلامية ، وقداهتم بقضية فلسطين وعقد عدة مؤتمرات لهذه القضية في عواصم الهند وشاركت الصحف في القضية وذلك سرّ عدم انجراف هذا الشعب في سبيل الحركة القومية الهندية انجرافا يفقده شخصيته ويقطع صلته عن العالم الاسلامي ويحمله على تقديسها والغلو في تمجيدها . ومن خصائص هذا الشعب الاسلامي الهندي شدة تعلق قلوب أفراد بهد الاسلام ومنزل الوحي ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم والحنين الى مكة والمدينة ، فقد تغنى بذلك شعراؤهم قديما وحديثا ، وعاش في هذه الأمنية العزيزة اللذيذة العامة والخاصة حتى عرف ذلك عنهم ، وعيّرهم بذلك غلاة الوطنية والقومية وحقدوا على هذه العاطفة الدينية القوية التي تربطهم بالخارج ربطا روحيا فهي تنافي في زعمهم الاخلاص للوطنية والحماسة القومية (١) وفي الحقيقة لامنافاة بينهما ، فالإنسان يستطيع

(١) يدل على ذلك كلمة لكاآب هندي نشرتها صحيفة هندوكية يقول فيها : « أن المسلمين الهنود يعتبرون انفسهم امة منفصلة متميزة ولا يزالون يتفنون ببلاد العرب ويحنون اليها ولو استطاعوا لاطلقوا على الهند اسم العرب » .

أن يجمع بين الحب لوطن روحي وجسمي فالجزيرة العربية هي البقعة التي أشرق منها نور الاسلام وأتقذ المسلمين من برائن الجاهلية والوثنية ، وأخرجهم من الظلمات الى النور وهم ينظرون إليها كمنقذ ومرشد ومعدل للاسلام ومركز للثقافة ويحجّون إليها في عدد كبير كل عام •

ولا يزال هذا الشعب ممتازا في كثير من أخلاقه وعاداته وخصائصه رغم انحطاط عظيم أصيب به هذا الشعب تبعا للاوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية ورغم تطور عظيم حدث في الحضارة والقيم الخلقية ، فلا يزال ممتازا - في أكثر الاحوال - في الكفاية الادارية وسرعة القضاء وقوة التنفيذ ، ولا يزال كثير من أفراده يشغلون مناصب خطيرة ومراكز ذات قيمة وأهمية ، ويمتازون بالامانة ومجانبة الرذائل الخلقية ، لذلك يتمتعون بثقة الحكومات وتوسد إليهم أمور ذات بال وقضايا ومراكز تقتضي الامانة الفائقة والاستقامة الظاهرة والذكاء النادر •



الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند

كان مركز المسلمين القائد في حركة تحرير الهند واجلاء الانجليز - وقد كان ذلك طبيعيا لانهم هم ولاية البلاد وسادتها حين احتل الانجليز هذه البلاد وبدأ الاضطوط الانجليزي ينفث سموه ، ويتلع هذه البلاد قطعة قطعة وإمارة إمارة ، وأول من انتبه لهذا الخطر الملك الهمام الشهم الغيور فتح علي خان المشهور بالسلطان تيبو (١٢١٣ هـ - ١٧٩٩ م) الذي عرف ببعده نظره وألمعيته أن الانجليز سيزردون هذه البلاد كلقمة سائغة ، إذا لم تقم في وجههم قوة منظمة ، فحارب الانجليز بكل ما كان يسلكه من قوة حربية وعدة وعتاد ، وحرّض أمراء الهند وأقيالها على القضاء على هذه الجرثومة الانجليزية السامة ، وحاول الاتصال بالسلطان سليم العشاني والملوك المسلمين وامراء الهند ، وراسلهم وظل يحارب الانجليز حربا عنيفة لاهوادة فيها ، وكاد ينهار كل ما بناه الانجليز وأملوه في الهند لولا أنهم نجحوا في ضم أمراء الهند ، في جنوب الهند الى معسكرهم ، وسقط الملك المجاهد صريعا في المعركة ، (في اليوم الرابع من مايو سنة ١٧٩٩ م) وفضل الموت في المعترك على الاسر في يد الانجليز والحياة في ظلهم وتحت رحمتهم وقال كلمته الخالدة الماثورة في التاريخ : « يوم من حياة الاسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى » ولما

بلغ القائد Horse شهادة السلطان ، حضر ووقف على جثته وقال :
« اليوم الهند لنا » .

ولم تعرف الهند - في تاريخها الطويل - قائدا أعلى همة ،
وأبعد نظرا ، وأشد غيرة على الدين والوطن ، وأعظم عداء وبغضا
للمحتل الاجنبي من « تيبو سلطان » ولم تكن في الهند
شخصية أبغض الى الانجليز وأثقل عليهم من تيبو ، حتى ظلوا
زمننا طويلا - وقد أدركنا ذلك العصر - يسمون كلابهم باسمه
شفاء لقلوبهم وإهانة لرمز الوطنية والجهاد (١) .

وثارت الجنود الانجليزية في مايو سنة ١٨٥٧ م بعدما جرب
الهنديون الحكم الانجليزي وغطرسة الانجليز ، وانتهاهم لثروة
انبلاد وقلة احتفالهم بالعاطفة الدينية وكرامة أهل البلاد، وانتشرت
الثورة في الهند اتشار النار في الهشيم ، فكانت ثورة شعبية
عامة ساهم فيها المسلمون والهنداك سواءا بسواء ، وتوجه الثوار
الى دهلي مقر الملك المغولي الاخير سراج الدين بهادر شاه (١) ،
وجعلوه قائدا للثورة ورمزا للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي
ونادوا به ملكا للهند شرعيا ، وخليفة آبائه ملوك الهند الصناديد

(١) كتب الزعيم غاندي مقاله في صحيفة «الهند الفتاة» Young India مقالا أشاد فيه بعظمة السلطان ووطنيته وتسامحه وقال : لا نعرف أعظم منه في شهداء الوطن والامة .

(٢) كان حكمه محدودا في القلعة الحمراء والانجليز يحكمون انبلاد باسمه ونياية عنه .

المغول الأباطرة ، وقاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته وباسمه ، ينظرون اليه كزعيم للجهاد الديني والوطني ، وينظرون إلى دهلي كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة ولم يشذ عن ذلك شاذ (١) .

وبالرغم من أن هذه الثورة أو حرب التحرير — كما يصح أن تسمى — كانت شعبية عامة يقاتل فيها المسلمون والهنادك جنبا بجنب ، ولم تعرف الهند حماسة وطنية ووحدة شعبية قبل هذه ، كان للمسلمين السهم الأكبر في القيادة والتوجيه وكان منهم العدد الأكبر والأهم من القادة والزعماء (٢) .

ولما أخفقت هذه الثورة — لأسباب شرحت في الكتب التي ألّفت في هذا الموضوع — صبّ الانجليز على أهل الهند جام

(١) الا السيخ — مع الاسف — وبعض الامراء الذين قمع الانجليز بهم الثورة .

(٢) كان اكثرهم من العلماء والمشائخ ، أشهرهم مولانا أحمد الله ومولانا لياقت علي وهما اللذان قادوا الحركة ، وكان الجنرال نجت خان القائد العام ونائب الملك ، وكان للحاج امداد الله التهانوي ، ومولانا محمد قاسم البناتوتي ، ومولانا رشيد أحمد الكنكوهي ، والحافظ محمد ضامن الشهيد ، وغيرهم من العلماء والمشائخ سهم فيها وخاضوا في بعض المعارك ، وقد ذكر الكاتب الهندوسي المعروف سندرلال عددا من كبار المساهمين في هذه الثورة المسلمين منهم خان بهادرخان ، بير علي ، علي كريم .

غضبهم وانتقموا منهم انتقاما شديدا^(١) وبطشوا بالهنديين - شعبا وأمة - بطشة جبار لا يعرف الرحمة ولا يعرف العدل ولا يعرف الإنسانية ولا يعرف الحدود ، وكانت مجزرة هائلة جدت ذكرى مذابح جنكيز وهولاكو ، وقد قتلوا ثلاثة من أبناء الملك الشبان المأسورين بعدما أعطوهم الامان والعهد والميثاق بهمجية وقساوة امتعض منها كثير من الانجليز وشنقوا ثلاثة وعشرين من أبناء الاسرة الملكية فيهم مرضى وزمنى وشيوخ عجز^(٢) وأهانوا الملك وحاكموه محاكمة مهينة ذليلة ، وكانوا حريصين على قتله أشنع قتلة إلا أن ضابطا منهم كان قد وعد أن يحافظ على حياته ، ليسلم نفسه اليه فحكموا عليه بالتفني المؤبد الى « رنجون » حيث مات طريدا وشريدا مقترا عليه في الرزق مضيقا عليه .

ودخلت الجيوش الانجليزية في دهلي فكان تفسيراً لقوله تعالى ، « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها

(١) وقع من الثوار - المسلمين وغير المسلمين - الاعتداء على النفوس البريئة والضعيفة والنساء والاطفال من الانجليز في بعض المناسبات ، وتخطوا حدود الدين والاخلاق والمروءة في شدة ثورتهم ولعدم النظام ولكن ما وقع من الانجليز مقابل ذلك لا يعقل الا بالجنون والهمجية والضراوة بالدم الانساني : ولا يليق بأمة مثقفة تتزعم العلم والمدنية .

(٢) الاستاذ ذكاء الله في « عروج سلطنة انكلشية » ج ٣

ص ٧٠٨ .

أذله » وقد أذن للجيش في نهب العاصمة ثلاثة أيام فطبقت تطبيقاً فظيماً ، وقد كتب « جون لورنس » الحاكم الانجليزي المشهور في ديسمبر ١٨٥٧ إلى القائد الانجليزي :

(١) « أعتقد أن الطريقة التي انتهينا بها جميع الطبقات من غير تمييز بينها ستصب علينا السخط العام وستصب علينا اللعنات إلى الأبد وانا نستحق ذلك » (١)

وقامت سوق القتل والنهب في دهلي على قدم وساق ، والدماء تسفك والرقاب تضرب ، والرصاص يطلق من غير تمييز ، والبيوت تنهب ، وقد خرج كل من استطاع أن ينجو بنفسه وأهله وعرضه ، حتى أصبحت المدينة التي كانت عروس البلاد وعاصمة الهند مقفرة موحشة ليس فيها إلا البيوت الخاوية ، والاتقاض المتراكمة ، والجثث المتعفنة ، أو الجنود المفترسة ، وإليك تصوير البلد من قلم قائد قواد الجيش الانجليزية (Lord Roberts) وقد كان مسافراً بجيشه من دهلي إلى كانبور يقع الثورة وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من سبتمبر ١٨٥٧ م بعدما استولى الجنود الانجليز على دهلي وتملكوا القلعة الحمراء (٢) يقول روبرتس في كتابه « إحدى وأربعون سنة في الهند » .

(٢) « كان المسير من دهلي في نور الصباح الباكر وكان

(١) Basworth Smith Life of Lord Lawrence V. 2. P. 158

(٢) القلعة الحمراء بناها الامبراطور شاهجان ، وكانت مركز الحكومة المغولية ، وكان فيها في العهد الاخير بهادرشاه .

منظرا هائلا خرجنا من القلعة من بابها الذي يسمى باب لاهور ،
 ومررنا بالشارع الكبير الذي هو مركز البلد وأكبر أسواقها
 « جاندني جون » لقد كانت دهلي في الحقيقة مدينة الاموات
 ليس بها داع ولا مجيب ، فلا صوت إلا صوت سنابك الخيل
 ولم يقع بصرنا على عرق ينبض أو عين تطرف ، لم تكن هنالك إلا
 جثث هامدة مبعثرة هنا وهناك ، وقد كانت هذه الجثث في أوضاع
 مختلفة خلّقتها صراع الحياة والموت في أدوار مختلفة من التفكك ،
 وكنا لا نتكلم إلا همسا حتى لا نزعج هؤلاء الاشقياء الذين كانوا
 مستغرقين في نومة الموت ، إن مارأيناه من المناظر كانت هائلة
 مفزعة وكانت مؤسفة محزنة ، وقد كانت بعض الجثث ينتهشها
 كلب ، وكان عند بعضها نسر يرفرف جناحه ويحاول أن يطير فلا
 يستطيع بفراط الشبع والثقل ، وقد كان بعض الاموات يتراؤن
 أحياء فقد رفع بعضهم يده في الاحتضار فبقيت مرفوعة كأنه يشير
 الى جانب ، لقد كان منظرا مهيبا موحشا لا يمكن تصويره وكان
 خيلنا قد استولى عليها الذعر فكانت تجفل وتنتفخ مناخرها ، وقد
 كان المحيط كله مروعا ولا يمكن تصويره ، وقد كان تعفن
 بروائح مضرّة تولد الامراض » (١) .

لقد كانت المجزرة شعبية وطنية عامة ، ولكن كان المسلمون
 بصفة خاصة هدف هذه الاهانات والفتك الذريع لأن كثيرا من

Lord Reberts Forty one Years in India . P . 142 (1)

الانجليز المسئولين كانوا يعتقدون أنها ثورة إسلامية ، وأن المسلمين هم مصدر الثورة وأصحاب فكرتها وهم الذين تولوا كبرها ، يقول كاتب انجليزي ، Henry Mead .

(٣) « إن هذه الثورة لا يصح في المرحلة الحاضرة أن تسمى ثورة الجنود لقد انفجرت الثورة منهم ولكن سرعان ما تجلت حقيقتها وظهر أنها ثورة إسلامية » .

ولذلك كانوا يخصون المسلمين بالقتل والبطش ، يقول مؤرخ معاصر :

(٤) « قد كان شعار بعض رؤساء الانجليز أنهم كانوا يعتبرون كل مسلم ثائرو كانوا يسألون الرجل أنت هندوكي أو مسلم ؟ فإذا قال مسلم قتله بالرصاص » (١) .

ويقول :

(٥) « إن هؤلاء الانجليز كلما رأوا مسلما عليه مسحة من جمال أو له جسم قوي اقتنصوه وشفقوا قلوبهم بقتله ، وقد قتل عدد كبير من الوجهاء والاشراف وأصحاب البيوتات الذين بقوا في البلد ، كانوا يقتلون الابناء الشبان أمام آبائهم الشيوخ ، ويقولون للوالد العجوز أنج بنفسك ، وقلما أفلت من أيديهم مسلم جميل الوجه صاحب حسب ووجاهة حتى أثر ذلك في النسل ، وأصبح لا يولد في دهلي مولود فيه الوسامة والجمال

(١) الاستاذ ذكاء الله الدهلوي ، عروج سلطنت « انكلشيه »

فاذا قارن أحد بين المسلمين قبل الثورة والمسلمين بعدها رأى فرقا واسعا بين الجيلين في الجمال والوسامة (١) .

ثم جاء دور الشنق ، ونصبت مشانق وأعواد على الطرق العامة والشوارع وأصبحت مواضع نزهة عامة يتفرج عليها الانجليز ويتمتعون بمناظر احتضار المشنوقين وهم يدخلون ويتحدثون ، فاذا تم عمل الشنق ولفظ المشنوق نفسه الاخير استقبلوه بالضحك والابتسام ، وفي هؤلاء الاشقياء أصحاب الإمارات وكبار الأشراف ، وقد شنق بعض الاحياء الاسلامية على بكرة أبيها ، ويذكر مؤرخ معاصر :

(٦) إن سبعة وعشرين ألفا من المسلمين قتلوا شنقا ، واستمرت المجزرة سبعة أيام متواليات لا يحصى من قتل فيها ، أما السلالة التيمورية فقد حاول الانجليز أن يستأصلوا شأفتها فقتلوا حتى الصبيان وعاملوا النساء معاملة همجية تقشعر منها الجلود » (٢) .

يقول ميلي سن :

(٧) « إن ضباط جيوشنا كانوا يقتلون المجرمين من كل نوع وكانوا يشنقون من غير رحمة وألم كأنهم كلاب أو بنات آوى أو

(١) الاستاذ ذكاء الله الدهلوي « عروج سلطنة انكشيه »

ص ٧١٢ .

(٢) السيد كمال الدين حيدر في « قيصر التواريخ » المجلد الثاني

ص ٤٥٤ .

حشرات خسيصة (١) •

ويقول قائد قواد الجيوش الانكليزية « Lord Roberts »
في رسالة كتبها إلى أمته في ٢١ يونيو سنة ١٨٥٧ م :

(٨) « إن أهول طريقة للاعدام هو أن يرمى المجرم بالمدفعة ،
إنه حقا منظر هائل ولكن لا نستطيع في هذا الوقت أن نأخذ
بالإحتياط ، إن هدفنا أن تثبت للمسلمين الاشرار أن الانجليز
لا يزالون — بنصر الله — سادة الهند (٢) » •

وهكذا دفع المسلمون أبهظ ثمن وأغلاه لهذا الجهاد ، وظل
قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة من الانجليز يعتقدون أن
المسلمين هم المسؤولون عن ثورة ١٨٥٧ م لا يتخلّون عن تبعاتها
جيلا بعد جيل وقد كتب هنري هملتن تامس ، Henry Hamilton
Thomas أحد كبار الموظفين الانكليز في بنغال في كتابه « ثورة
الهند الماضية وسياستنا المستقبلية Late Ribellion in Indid
& our Future Policy » الذي ألقه في سنة ١٨٥٨ م يعني بعد
الثورة بسنة فقط ، والكلمة تشرح عقيدة الانجليز ووجهة نظرهم
عن المسلمين بعد الثورة يقول :

(٩) « لقد قدّمت أن الهنادك لم يكونوا أصحاب الفكرة
في ثورة ١٨٥٧ م ولم يكونوا مصدرها ، وسأثبت في هذه المناسبة

(١) ميلي سن ، ج ٣ ص ١٧٧ ،

(٢) تامس ، ص ٤٠ •

أن الثورة كانت نتيجة مؤامرة المسلمين ، إن الهنادك إذا تركت لهم الحرية وكانوا محدودين في وسائلهم لم يكونوا ليساهموا في مثل هذه الثورة وما كانوا يودونها ، إن المسلمين لم يزالوا ولا يزالون منذ عهد الخليفة الاول مستكبرين غير متسامحين ، وظالمين ، لم يزل هدفهم الدائم أن تقوم الحكومة الاسلامية بأي وسيلة كانت وأن ينشأ الناس على كراهة المسيحيين ، إن المسلمين لا يستطيعون أن يكونوا رعية وفية لحكومة تدين بغير دين الاسلام لان ذلك مستحيل في ظل أحكام القرآن » .

وقد كانت هذه هي السياسة المتبوعة في الحكومة الانجليزية القائمة وهي القاعدة التي يسير عليها موظفوها الكبار ، ورؤساء المصالح ، إقصاء المسلمين عن المراكز الكبيرة في الحكم والادارة ، وصد أبواب الرزق الشريف عليهم ، ومصادرة الاوقاف والاملاك التي تدر على مدارسهم ومؤسساتهم ، وتأسيس مدارس ونظام تعليمي لا ينشط المسلمون للافادة منه ^(١) ، وقد كان يعلن في بعض بلاغات رسمية أن الوظائف الفلانية لا يقبل فيها إلا الهنادك ^(٢) يقول هنتر :

« إن المسلمين وإن كانوا يملكون المؤهلات والكفاءة المطلوبة لوظيفة ، ولكنهم يمنعون عن ذلك ببلاغ رسمي » ^(٣) .

(١) اقرأ تفصيل ذلك في كتاب ، و . و . - هنتر «مسلمو الهند» .

W. W. Hunter . Indian Mussalmans .

(٢) « مسلمو الهند » للدكتور هنتر ص ١٥٨ .

(٣) « مسلمو الهند » للدكتور هنتر ص ١٥٨ .

وقد كان غضب الانجليز شديدا واضحا في قضايا المسلمين كلها ، فكانوا يؤخذون بأقل تهمة وأبعد وشاية ، وكانوا يؤخذون بالظنّة ويعاقبون أشدّ العقاب ، وقد حارب الانجليز فلّ المجاهدين المعتصم في الجبال في حدود الهند الشمالية الغربية حربا شعواء ، وأنفقوا في ذلك نفقات باهظة وتحملوا خسائر عظيمة ، وحاكموا في الهند كل من ظنوا به أقل اتصال بهذه الجماعة - جماعة السيد الامام أحمد الشهيد - حاكموا جماعة من العلماء الأجلاء والمثقفين والوجهاء والتجار في « تبه » و « تهايسر » و « لاهور » سنة ١٢٨١ هـ - ١٨٦٤ م محاكمة ظهر فيها حقد الانجليز وتوترهم من المسلمين بصفة عامة ، ومن هؤلاء الذين ساءهم الانجليز وأعوانهم « وهايبن » بصفة خاصة وحكموا على مولانا يحيى علي ومحمد جعفر التهانيسري ومحمد شفيع اللاهوري بالاعدام وقال القاضي في حكمه : « سأكون مسرورا وسعيدا إذا رأيتم معلقين على المشانق تلاقون جزاءكم » وكان الانجليز ونسأؤهم يأتون الى السجن ليمتعون نفوسهم ويقرأوا عيونهم بالكتابة التي تغشى هؤلاء « الاشقياء » الذين تنتظرهم المشنقة ، وبجزعهم وهلعهم ، ولما رأوا أنهم جذلون مسرورون ينتظرون الشهادة في سبيل الله بقلوب تواقة مؤمنة ، ونفوس راضية مطمئنة ، كبر ذلك عليهم ، وجاء الحاكم الانجليزي وقرأ حكم المحكمة النهائية بتبديل الاعدام بالنفي المؤبد الى

جزائر « سيلان » قائلا إنه لا يجب أن يسرهم ويحقق أمنيتهم ويكرمهم بالشهادة التي يعدونها أكبر كرامة ، وبهذا الطريق الغريب العاطفي الذي لم يعرف عن أمة دستورية كالانجليز سقّر الشيخ يحيى علي العظيم آبادي وشقيقه الشيخ أحمد الله العظيم آبادي والشيخ عبد الرحيم الصادقوري ، والشيخ محمد جعفر التهانيسري الى « بورت اندمان » سنة ١٨٦٥ م ومات الشيخ يحيى علي والشيخ أحمد الله في « اندمان » ورجع الشيخ عبد الرحيم والشيخ محمد جعفر بعد ثماني عشرة سنة بعد الحياة الطويلة في الجلاء والبلاء ، وصودرت أملاك أسرة صادقبور الواسعة في « بتنة » عاصمة ولاية « بهار » وهدمت مبانيها الضخمة ومشت فيها السكة وبنيت على أنقاضها مباني البلدية ودوائر الحكومة، ونسفت مقابرهم ودرست ، كل ذلك انتقاما من الأعداء وشفاء للغيظ (١) .

وكذلك بقي الى « اندمان » جماعة من العلماء الأجلاء كالعلامة فضل حق الخير آبادي ، والمفتي عنايت أحمد الكاكوري والمفتي مظهر كريم الدرايبادي ، ومات العلامة فضل حق في المنفى ورجع العالمان الاخران بعدما مكثا مدة طويلة في الجلاء .

ان هذه المعاملة القاسية الشاذة استمرت مدة طويلة كانت سببا لتخلف المسلمين في الثقافة والعلم ، ومنعتهم عن أن ينالوا

(١) اقرأ القصة بطولها في مقالتنا « من الشنق الى النفي »
القراءة الراشدة الجزء الثالث .

قسطهم في الادارة ومصالح الحكومة • وقد شغلهم الدفاع عن أنفسهم وتقي التهم التي كانت توجه اليهم بين حين وآخر عن المساهمة في سياسة البلاد ومجارة الشعوب الاخرى التي كانت تتقدم بخطى واسعة وتنال من الحكومة كل تشجيع وعطف في الوعي القومي والشعور الوطني •

قام المؤتمر الوطني العام سنة ١٨٨٤ م وحضره عدد مشرف من وجهاء المسلمين والرجال المثقفين ، وقد رأس حفلته السنوية الرابعة التي انعقدت سنة ١٨٨٧ م في « مدراس » الاستاذ « بدر الدين طيب جي » وحضره الوجيه الفاضل « ميرهمايون جاه » وتبرع للمؤتمر بخمسة آلاف روبية ، وحضره ليف من الوجهاء والاعنياء من المسلمين والمحامين والتجار •

وكان زعيم الحركة التعليمية الاسلامية « سرسيد أحمد خان » (مؤسس الجامعة الاسلامية في عليكره) من دعاة الاتحاد الوطني ، إلا أنه بعد فترة قصيرة اتبع سياسة الانفصال عن المؤتمر بدافع الاشفاق على المسلمين الذين كانوا لا يزالون ضعفاء في الثقافة والوعي السياسي ومتخلفين في الحياة والاقتصاد والتعليم وحذر المسلمين عن الوقوع في تقوذ الهنادك المتحمسين ، والبنغاليين المتطرفين ، الذين بدأوا ينتقدون السياسة الانجليزية ويطالبون بحقوقهم وأشار عليهم بتكوين جبهة اسلامية والابتعاد عن « السياسة » التي قد تثير عليهم الاحقاد القديمة وتخلق

المشكلات الجديدة (١) •

إلا أن عددا كبيرا من مفكري المسلمين الاحرار وفي مقدمتهم علماء الدين كانوا يرون تأييد المؤتمر ويرون المساهمة في الحركات السياسية الوطنية ولا يعتقدون أن السياسة هي الشجرة المنوعة للمسلمين ، فأصدر الشيخ عبد القادر اللدهي انوي مجموعة فتاوى سماها « نصره الابرار » في تأييد المؤتمر الوطني سنة ١٨٨٧ م كان من الموقعين عليها كبار العلماء في حواضر الهند المشهورة وفي المدينة المنورة وبغداد ومنهم العالم الرباني الجليل مولانا رشيد أحمد الكنكوهي والاستاذ الكبير مولانا لطف الله العليكرهي •

وحضر حفلة المؤتمر السنوية الخامسة التي انعقدت في إله آباد عام ١٨٨٨ م بعض كبار العلماء ، وهكذا ظل المسلمون يساهمون في نشاط المؤتمر ويشاركون مواطنيهم في هذه المؤسسة الوطنية الكبيرة •

وفي سنة ١٩١٢ م نشبت حرب بلقان وانطلقت موجة عنيفة من السخط العام على الحكومات الاوربية وزعيمتها الحكومة البريطانية وحلفائها وانفجر الوعي السياسي الاسلامي الشرقي

(١) لا شك أن هذه السياسة وهذا الاسلوب للتفكير كان خاطئا وكان نتيجة تأثير الداهية الانجليزي المسترييك وخليفته المستر موريس الذين ظلا يقودان عقلية المسلمين وسياستهم مدة طويلة ، وقد جنى هذا الاعتزال عن السياسة على كيان المسلمين وحياتهم القومية •

وصدرت صحيفة « الهلال » الاسبوعية التي كان ينشئها مولانا أبو الكلام آزاد ، وكانت تنشر مقالات تكتب بقلم من نار وتنتقد السياسة الاوربية الصليبية في قوة وبلاغة لا يعرف لها نظير ويتهافت على قراءتها آلاف مؤلفة من المسلمين الوطنيين ، وصدرت مجلة « كومريد » (Comrade) الانجليزية التي كان ينشئها مولانا محمد علي ^(١) من كلكتا ، ثم انتقلت الى دهلي وينتقد فيها السياسة الانجليزية في أسلوب أدبي ساخر ، وكذلك جريدة « زميندار » لصاحبها مولانا ظفر علي خان وصحف إسلامية أخرى ، وبذلك التهمت نار الثورة الفكرية في الهند ، واعتقلت الحكومة زعماء المسلمين ، محمد علي ، وشوكت علي ، وأبو الكلام آزاد ، وحسرت موهاني .

وكان رئيس مدرسة دار العلوم ديوبند مولانا محمود حسن (الذي اشتهر بعد بلقب شيخ الهند) من كبار الحاقدين على الحكومة الانجليزية ولا نعرف أحدا بعد السلطان تيبو من يبلغ مبلغه في عداة الانجليز والاهتمام بأمهم ، ومن كبار أنصار الدولة العثمانية التي كانت زعيمة العالم الاسلامي ، وحاملة لواء الخلافة ، وكان من كبار الدعاة الى استقلال الهند ، وتأسيس الحكومة الوطنية الحرة ، وكان من الذين ملكتهم هذه القضية وتفاني فيها ، وحاول الاتصال بحكومة أفغانستان ورجال الدولة

(١) الزعيم مولانا محمد علي زعيم حركة الخلافة دفين القدس .

العثمانية كأنور باشا وغيره وقد أسرت^(١) حكومة الشريف حسين سنة ١٩١٦ م في المدينة المنورة وسلمته الى الحكومة الانجليزية التي تقته وزملاءه وتلاميذه (مولانا حسين أحمد المدني ، ومولانا عزيز كل والحكيم نصرت حسين والاستاذ وحيد أحمد) الى جزيرة مالطا سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م مكثوا هنالك الى سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠ م ، وكان مولانا عبد الباري الفرنجي محلي مؤسس جمعية العلماء من كبار المتحمسين للقضية الوطنية ومن كبار قادة حركة الخلافة .

وفي سنة ١٩١٨ م صدر تقرير رولت (Rowlatt Report) وهو جرم فيه المسلمون بصفة خاصة مهاجمة عنيفة ، واتهموا بالثورة ، وكان رد الفعل عنيفا ضد هذا التقرير في طول الهند وعرضها .

وفي سنة ١٩١٩ م أطلق سراح محمد علي وشوكت علي وتجلّى اتحاد المسلمين والهنداك في أروع مظاهرة ، واتحدوا في مهاجمة الحكومة الانجليزية وسياسة حلفائها في قضية الحكومة العثمانية ، والنداء الى تحرير الوطن وتأسيس الحكومة الاستقلالية ،

(١) واخذ فعلا رسائل من انور باشا وجمال باشا في تأييد قضية الهند وكفاحها ضد الانجليز وحث الرعايا التركية على مساعدة مولانا محمود حسن وقد دسها اصحاب الشيخ في جوف الواح صندوق خشبي وملاه بقماش الحرير وأرسله الى الهند حيث وصل الى اصحابه ، ومن هنا اشتهرت القصة بالرسائل الحريرية وذكرها Rowlatt في تقريره المشهور .

وأصبحت الهند كمرجل ثائر يغلي حماسة وثورة •

واشترك في هذه الحركة (التي كانت ترمي في النهاية الى تكوين الوعي السياسي والحماسة الوطنية وكراهة الانجليز) غاندي بكل نشاط وحماسة وقام برحلات طويلة مع محمد علي وشوكت علي كان يخاطب فيها الجمهور ويخطب في الحفلات الكبيرة التي لم تشهد البلاد مثلها ، ولا أعتقد أنها ستشهد مثلها ، وكان الجمهور يستقبل هؤلاء الزعماء بحماسة منقطعة النظير ويهتف بحياتهم •

وفي سنة ١٩٢٠ م اقترح غاندي ومولانا أبو الكلام آزاد — الذي كان من كبار زعماء الخلافة وحركة التحرير واحد قادة الفكر في الهند — مقاطعة البضائع الاجنبية ومقاطعة الحكومة الانجليزية والاضراب عن التعاون معها في دوائرها وفي جيوشها فكان أمضى سلاح استعمل في حرب التحرير والكفاح الوطني في أي بلد حسبت له الحكومة الانجليزية كل حساب وكاد يشل الجهاز الاداري وينشر الثورة العامة •

وكان كل ذلك ينذر بانتهاء الحكومة الانجليزية ويخرج جهاز الحكومة البريطانية في هذه البلاد البعيدة إلا أن السياسة الانجليزية أطلقت سهمها الاخير الذي لا يطيش عادة في البلاد الشرقية وهو سهم التفريق والإفساد ، أقنع الحاكم العام ورجال الحكومة أحد الزعماء الوطنيين الهنادك بضرورة الدعوة الى الديانة الهندوكية وارجاع من دخل من أهل البلاد في الدين

الاسلامي الى دياتهم القديمة وتنظيم الشعب الهندوكي على
أساس ديني قومي حربي ، فقد ظهر تفوق المسلمين وحماستهم
وحسن نظامهم في حركة الخلافة والتحرير ، وكانت القيادة
السياسية في أيديهم لأن القضية التي كانت تثير الجماهير قضية
إسلامية تتصل بمرکز الخلافة •

ومن هنا ظهرت الدعوة والتبشير بالديانة البرهمية والآرية
وتنظيم الهنادك على طراز حربي ، وانتشر دعائها في الهند وظهرت
إزاء ذلك حركة الدعوة إلى الاسلام وتنظيم المسلمين على أساس مستقل ،
وبدأت المناظرات الدينية والخطب العاطفية والحماسية واتفجرت
الاضطرابات الطائفية في شبه القارة الهندية •

وبقي المؤتمر الوطني يعمل عمله ويعقد حفلاته ، وقد رأس
حفلة سنة ١٩٢٣ م الخصوصية في دهلي مولانا أبو الكلام آزاد
والحفلة السنوية العامة في نفس السنة في « كوكنادا » مولانا
محمد علي •

واستمرت الاضطرابات وعنفت حتى كانت في سنة ١٩٢٧ م في
بضعة شهور فقط خمسة وعشرون اضطرابا ، وكانت هذه
الاضطرابات حديث النوادي والصحف والشغل الشاغل للبلاد
ولم يستطع زعماء المؤتمر وحركة الخلافة أن يوقفوا هذه
الاضطرابات ، ويرجعوا المسلمين والهنادك الى الصفاء والثقة
التي كانت تسود قبل ذلك ، ولم تزل الفجوة بين الطائفتين

— المسلمين والهنادك — تتسع وتعمق ، والجفوة بينهما تقوى وتكبر ، والاتجاه الى الانفصال في الزعماء يزداد قوة حتى أصبح واقعا علميا •

وبدأ الناس يشعرون بخمود الحماسة الوطنية أو بضعفها في الزعماء الوطنيين وانحيازهم الى المعسكرات الطائفية وخضوعهم للمعاطف الدينية والنعرات الطائفية ، وبدأ الزعماء الوطنيون المسلمون يشعرون بأن الزعماء الوطنيين الهنادك — وعلى رأسهم الزعيم غاندي — لم يستعملوا كل نفوذهم في وقف هذه الاضطرابات الطائفية وفي محاسبة شعبهم وأصحاب ديانتهم — الذين ••••• يكونون الاكثرية في البلاد — فيما يصدر منهم من الاعتداء والسبق ، وإنه لم يظهر من هؤلاء الزعماء من الحياد التام والمساواة بين الطائفتين ما كان ينتظر من زعيم وطني عام •

وسواء كان هذا الشعور صحيحا أو كان فيه شيء من التشاؤم وسوء التفاهم فقد جعل هذا الشعور يضعف نشاط بعض الزعماء الوطنيين المسلمين — الذين كانوا مشعل الحماسة الوطنية ، وكانت لهم مواقف خالدة في الدفاع عن الوطن والكفاح ضد الانجليز ، كمولانا محمد علي — في تأييد المؤتمر ، وجعلهم ينظرون الى المسلمين كأمتهم التي يأوون اليها ، ويشكون من زعماء المؤتمر ضيق التفكير ، وضيق الصدور فيما يتصل بالمسلمين •

وهكذا انفصل مولانا محمد علي وكثير من زملائه عن المؤتمر

وانضموا الى الجبهة الاسلامية وقويت حركة الانفصال التي كان
يتزعمها المستر محمد علي جناح رئيس العصبة الاسلامية
(Muslim League) وكسبت إعجاب عدد كبير من الجمهور
الاسلامي وحماسته حتى نادت في الاخير بتقسيم الهند ونجحت
بفضل عقلية الاكثرية الضيقة وشذوذ معاملتها وتفكيرها مع
المسلمين (١) .

وبقي مولانا آزاد وكثير من العلماء الذين كانوا ينتسبون الى
« جمعية العلماء » أوفياء للمؤتمر ثابتين على موقفهم القديم
ووجهة نظرهم ، وعلى رأسهم وفي مقدمتهم العالم الجليل المجاهد
مولانا حسين أحمد المدني ، وهو خليفة شيخه مولانا محمود
حسن في العداء الشديد للانجليز والحماسة للقضية الوطنية
والاخلاص لها والتفاني في سبيلها ، وقد تحمل هو وزملاؤه (٢)
أعضاء جمعية العلماء كل سخط واهانة من العنصر الاسلامي

(١) جاء في خطبة مولانا أبي الكلام التاريخية الخالدة التي القاها
في البرلمان الهندي وقد أشار الى بعض أعضاء البرلمان الهنادك
الذين اعترضوا على مساعدة وزارة المعارف للمؤسسة العلمية
المشهورة « دار المصنفين » في اعظم كره لانها تنسب الى المسلمين
« ان هذه العقول الصغيرة هي التي كانت سببا في تقسيم الهند » .

(٢) نذكر منهم بصفة خاصة المفتي الاكبر مولانا كفاية الله ،
ومولانا محمد سجاد البهاري ومولانا حفظ الرحمن الامين العام
للجمعية وعضو البرلمان الهندي .

المتحمس المندفع تحت قيادة العصبة الاسلامية وكان مركز نشاط
عظيم ، ودوام لا تسكن ولا تهدأ مع النزاهة التامة وصرامة
لا ضعف فيها ودين لا مغز فيه •

وكان مولانا أبو الكلام آزاد رئيس المؤتمر الوطني لأطول
مدة تمتع بها رئيس ، وفي أخرج فترة مرت بها البلاد وفي عهد
رئاسته زارت البعثتان الحكومتان لحل القضية الهندية والمفاوضة
في شروط الاستقلال ، وتفصيله فكان مولانا أبو الكلام بصفته
رئيسا للمؤتمر الوطني الهندي ممثلا للمؤتمر الوطني ولسان
حاله ، وقد اعترف أعضاء البعثات وعلى رأسهم السياسي الانجليزي
(Sir Stafford Cripps) بذكائه ولباقته وحنكته السياسية
والقطة للدقائق الدستورية •

وفي عهد رئاسته وتحت اشرافه وتوجيهه نالت الهند الاستقلال
ويدل كتابه « الهندتال الاستقلال » (India Wins Freedom)
على أنه كان العقل المفكر الموجه في جهاز المؤتمر الوطني وكان
يسيطر على زملائه وعلى الجهاز الاداري وسياسة البلاد بعقله
النابع ونظره البعيد ، وشخصيته القوية ، وله في حركة استقلال
الهند والكفاح الوطني أوفر نصيب يمكن أن يكون لرعيم
وطني •



مشكلات الشعب الإسلامي الهندي

لكل شعب مشكلات تمتحن جدارته للبقاء وتشغل مواهبه وتثير كوامنه وتبعث فيه النشاط واليقظة ، وكل شعب لا مشكلة له لا يصلح للاعتماد والثقة ومعرض لخطر الخمود والاستئمان والاخلاد الى الراحة .

وللشعب الاسلامي الهندي مشكلات يعانيتها اليوم ويحاول حلها والتغلب عليها ، كان بعضها نتيجة أخطائه وبعضها نتيجة روااسب الماضي ومخلفاته الفكرية والسياسية ، وبعضها نتيجة وضع الاحوال والحوادث التي مرت بها الهند في العهد الماضي ، ولا شك أن جميع هذه المشكلات عارضة طارئة ، ستحل اذا أثبت الشعب الاسلامي صبره واحتماله وعالج الامور بحكمة وأناة ورفق وقدرت له القيادة الرشيدة المتزنة الجريئة ، ونذكر هنا أهم مشكلاته .

إن المشكلة الكبرى من هذه المشكلات هي مشكلة الدعوة الاسلامية ، يعرف الجميع أن الاسلام دين دعوة وتبشير ، وكان انتشار الاسلام وازدهاره عن طريق الدعوة والهداية ، والعدد الذي دخل في الاسلام في الهند بفضل الدعاة المخلصين من الصوفية والمشائخ والتجار والربانيين أكثر جدا ، من عدد المسلمين الذين نزحوا الى الهند من الاقطار الاسلامية العريقة في الاسلام كجزيرة العرب وايران وتركستان ، ولم تزل الدعوة الاسلامية المخلصة

تضيف الى الجسم الاسلامي دما جديدا قويا في كل عصر ، وتمنح المجتمع الاسلامي في الهند مهتدين جددا أثبتوا نبوغهم وعبقريتهم فيما بعد ، ولم تزل أسر عريقة في الشرف والاصالة معروفة بالذكاء والنجابة تنتقل وتنضم الى الاسرة الاسلامية الكبيرة ، وفي اعلام الشعب الاسلامي الهندي ورجالاته من ينتمي بنسب قريب أو بعيد الى أسرة هندوكية ومن هؤلاء في الماضي القريب مولانا عبيد الله البتيالوي صاحب « تحفة الهند » ومولانا عبيد الله السندي ، والعلامة محمد اقبال ، والشيخ ثناء الله الامرتسري ، ومولانا أحمد علي اللاهوري الذين قليل من المسلمين يعرفون أنهم من أسر دخلت في الاسلام أو كان منهم من شرح الله صدره للاسلام فأسلم بنفسه .

وكانت الدعوة الاسلامية والهداية الاسلامية تعملان عملهما وتشقان طريقهما الى الامام في العهد الاسلامي الاخير والى آخر عهد الحكومة الانجليزية ، وكان عدد كبير من غير المسلمين يدخل في الاسلام طوعا كل سنة لما يمتاز به الدين الاسلامي من المبادئ الحكيمة المعقولة ووجود عقيدة التوحيد النقية والعدل والمساواة وعدم وجود طبقات متفاوتة واللمس المنبوذ ، وكان القرآن والسيرة النبوية وتعاليم الاسلام تفتح قلوبا جديدة وتثير عقولا جديدة ، وكان من الممكن المتوقع أن يصبح الاسلام — لو جرت الامور مجراها الطبيعي — أعظم قوة في القارة الهندية ، ثم أعظم قوة في آسيا .

ونشبت المعركة السياسية بين المسلمين ومواطنيهم وحمت في
الايام الاخيرة ، توترت منها قلوب الطائفتين وامتألت ضغنا
وحقدا وشكا ، واتسعت شقّة الخلاف وكان من تيجتها انفصال
الطائفتين وانقسام الهند وقيام دولتين مستقلتين احدهما
الجمهورية الهندية والاخرى الجمهورية الاسلامية الباكستانية ،
ولسنا الآن بصدد الحكم على هذا الوضع ، هل كان من الممكن
التفادي عما وقع وهل كان هنالك طريق أفضل ؟ وهل كان عمليا
أم لا ؟ هذا كله تتركه للمؤرخ السياسي ، والذي يكتب تاريخ
الهند بحرية وتفصيل وانصاف ، ولكن الذي يهمني الآن هو
أن هذا الوضع السياسي الذي جرّت اليه الأحوال والظروف
أو لجأت اليه الهند طائعة أو مكرهة خلف مرارة في القلوب
وشكّا في قلب كل طائفة للأخرى ، وزهدا وانصرافا عن كل ما
تتسم به تلك الطائفة من دين وعقيدة ، وثقافة وحضارة ، بل
وكراهة لما تتبناه وتزعمه بطبيعة الحال ، وكان ذلك حاجزا كبيرا
في سبيل انتشار الاسلام في الهند ، لأنه دين الدولة المنافسة
القائمة لها بالمرصاد ودين شعب قامت بينه وبين الشعب الهندي
معارك سياسية وحروب طائفية ومناوشات كلامية ومناظرات
برلمانية لا تزال جديدة في الذاكرة ولا يزال ما يطلع في الصحف
اليومية كل صباح من تصرفات باكستان وتحركاتها يثير الكامن
وينكأ الجرح الذي لم يندمل .

أضف إلى ذلك أن الدولة التي تتسمى بالاسلام والمجتمع

الذي يدين بالاسلام على الحدود لا يثقل مع الأسف في الاخلاق والسياسة ما يزيد ثقتهم بالاسلام ويبعث على إجلاله وأكباره ، وزيادة على ذلك أن الاحوال السياسية والاقتصادية في باكستان تبرهن بعض الاحيان عند المتشككين على اخفاق دولة تنتمي وتقوم على أساسه ، وقد يقرأ الانسان في صحيفة أو يفاجأ ما يباعد عن الاسلام فيقوم حجاب بفهم حقيقته ومدى تأثيره في النفوس .

هذه هي مشكلة المشكلات في الهند ولا شك أن امتداد الايام وتحسن العلاقة بين باكستان والهند وتغلب العقل على العاطفة سيحل هذه المشكلة ويبدأ الاسلام سيره ونشاطه من جديد إذا قام المسلمون بدعوة اسلامية رقيقة خالصة مخلصه ، لا تشوبها السياسة والطموح والكبرياء ، دعوة لا تقصد إلا هداية الناس وإسعاد النفوس وخدمة الخلق والنصح الخالص ، والاشفاق على مصير بني آدم وتحفظهم من مهالك الدنيا والآخرة ، ووفق المسلمون لإخراج كتب في شرح تعاليم الاسلام وعرض السيرة النبوية واللغة الهندية واللغات الاقليمية في أرقى أسلوب عصري وشكل جذاب ، وتغلغلوا في المجتمع الهندي بدعوتهم وأثبتوا تفوقهم الروحي والخلقي وإخلاصهم ووفاءهم لبلادهم وحرصهم على تقدمها ورفاهيتها .

والمشكلة الثانية ، التي تلي المشكلة الاولى وقد تفوقها في الخطورة والنتائج لأن المشكلة الاولى انما تقف سداً في سبيل

انتشار الاسلام وتوسعه حين كانت المشكلة الثانية تتهدد وجود الشعب المتي وبقاءه في الهند كأمة ذات عقيدة خاصة وحضارة خاصة وثقافة خاصة ، وهي مشكلة التعليم .

كان دستور الجمهورية الهندية العلماني يكفل حرية العقيدة والديانة والثقافة لكل طائفة ولكل عنصر من عناصر القومية الهندية ويساوي بين العناصر المختلفة والطوائف الهندية ، وهو أفضل دستور لقطر يسكنه شعوب كثيرة ذات ديانات كثيرة وحضارات وثقافات متنوعة ، وكان أفضل نظام من نظم المعارف في مثل هذه البلاد نظام لا يتبنى ديانة خاصة وعقيدة خاصة، فاما أن يجمع بين تعاليم أديان مختلفة وينظر اليها بعين واحدة، وهذا يصعب تطبيقه في قطر مثل الهندغني بالديانات والحضارات، وإما يعتزل جميع هذه الديانات والعقائد ولا يتناولها بالعرض ولا يتعرض لها تقيا ولا إيجابا ويبقى مقصورا على الثقافة العامة والمعلومات المدنية وما يحتاج اليه الطالب في حياته من مواد دراسية .

وقد كان المشرعون وواضعوا الدستور الهندي عقلاء بعيدي النظر إذ فضلوا القسم الثاني وذلك كان الوضع السائد والخطبة المتبعة في العهد الانجليزي ، هذا مالا يقبل مناقشة ولا يشير اعتراضا ، وكان المسلمون مسرورين إذا كان هو الوضع التعليمي في الجمهورية الهندية وولاياتها المختلفة .

ولكن من المؤسف المقلق أن هذا لم يتجاوز صفحات

الدستور والبلاغات الرسمية ، فقد تبنّى واضعوا المناهج الدراسية ومؤلفوا الكتب المقررة للتدريس في ولايات الجمهورية، خصوصا في الولاية الشمالية ، ديانة الاكثرية وعقيدتها بعرض شعائرها وآلهتها ومقدساتها وأساطيرها الدينية مما يتنافى مع تعاليم الاسلام ويضاد عقيدة التوحيد البسيطة وما جاء في القرآن من وصف الله تعالى بصفات العظمة والجلال والقدرة والكمال والتفرد والتعالي عن المثل وعدم الحلول والاتحاد ، وينافي عقيدة الرسالة والنبوة الاسلامية ، ، ويدعو الى تقديس هذه الآلهة الأسطورية وعبادتها وتقديس بعض الانهار والمدن وتآليهها ، ويصور الهند — البلاد التي تسكنها الطوائف الكثيرة — كبلد ليس فيه ديانة غير الديانة البرهمية ومعابدها واحتفالاتها وأعيادها ، وتقاليدها ومراكزها الدينية والروحية •

والكتب التي قررت للمطالعة ليطالع التلاميذ على تاريخهم الماضي ويتعرفوا بالشخصيات الكبيرة قد اقتصرت على شخصيات شعب خاص وديانة خاصة ، وأعرض مؤلفوها — في تصميم وتفكير — عن الحديث عن أي شخصية كبيرة من شخصيات العهد الاسلامي الزاهر سواء كانت من عباد الله الصالحين أو من الملوك العادلين ، أو المشرعين النابغين ، أو الاداريين الحازمين أو العلماء العبقرين أو الشعراء المفلحين ، مع أنها من مفاخر الهند ومن أعلامها التي يتباهى بها الهنديون على اختلاف دياناتهم وتجلجل بها تاريخ الهند العام ، وفيها أسوة وحافز للتلاميذ الصغار

والشباب الناهضين ، وعاملوا العهد الاسلامي ومن نبغ فيه من الرجال وأصحاب الفكر والكمال معاملة الاجانب ومعاملة الغرباء ، وإذا ذكروا بعضهم لم يحسنوا تصويرهم ^(١) أو نسبوا إليهم ما يحط من شأنهم ، بل ونسبوا الى الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم من الاخلاق والاعمال والحوادث ما لا يليق بانسان شريف فضلا عن الرسل ويجرح شعور كل مسلم ويشيره ^(٢) .

ان وجود مثل هذه الكتب المقررة في نظام تعليمي إجباري تفرض دراستها على أولاد المسلمين وشبابهم حين لا يتلقون تعليمهم وثقافتهم عن مصدر آخر وتؤسس مئات آلاف من المدارس في المدن والقرى والارياف وضع محرج للمسلمين يبعث فيهم القلق الشديد والاشفاق على مستقبلهم الديني وعقيدة أجيالهم ، ويهدد كيانهم الملتى في هذه البلاد التي يعتبرونها وطناً لهم وقد صمموا على الإقامة والبقاء فيها وخدمتها بكفائاتهم ومواهبهم والمساهمة في نشاطها ، ويجعلهم يخافون على أبنائهم وأفلاد أكبادهم من الردة الفكرية والثقافية ، ومن الردة الدينية ومن الوثنية ، وقد بدت طلائع هذه الردة في الاوساط التي أثر فيها هذا التعليم وانقطعت صلتها عن مصدر ثقافي أو عن الدعوة الاسلامية ، وبدأ الصغار السذج من أبناء المسلمين يتظاهرون

(١) انظر سلسلة « أسلافنا » المقررة للصف السادس الى الثامن .

(٢) انظر « دمثوا كرائت كي لهرين » .

بالشعائر البرهمية ويدينون ببعض عقائدها •

إنه وضع نعتقد أنه لا يدوم ولا يطول وإن الروح الجمهورية والحرية التي عرفت الهند بالتمسك بها ستقضي على هذا الوضع الشاذ ، وإن العتل سيغلب على العاطفة ، وأن العقلاء الأحرار من المسؤولين ورجال المعارف سينتبهون لشذوذ هذا الوضع ووخامة عاقبته والتضاد الواقع بين الدستور وبين التطبيق •

ولكنه على كل حال مبعث قلق عظيم واشفاق وحذر في أوساط المسلمين وفي المجتمع الإسلامي فلذلك انعقد مؤتمر عظيم في إحدى مديريات الولاية الشمالية (لبستي) حضره عدد كبير من المسلمين من كل مذهب ومدرسة فكرية ، وثلاث مائة ممثل ومندوب من مختلف الطبقات وطلبوا من الحكومة أن تصلح برامج التعليم الرسمي وتسحب هذه الدروس التي تنافي العقيدة الإسلامية وتقوم على أساس ديانة خاصة وفكرتها وأساطيرها ، وتحافظ على علمانية المعارف كما يقررها الدستور ، وعزموا على إنشاء كتاتيب ومدارس تعلم أطفال المسلمين التعليم الديني في أوقات الفراغ ، وإنشاء مدارس تعلم المناهج الدراسية المقبولة في المعارف مع مادة الديانة وإضافة دروس تعاليم الإسلام ، وقد كان لهذا المؤتمر تأثير كبير في الوسط الإسلامي ، وانبثقت فروع في أنحاء الولاية ، وانهقدت مؤتمرات عظيمة ، وكانت الفكرة التي يلتقي عليها المسلمون وأفراد الأقلية على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم •

ولجمعية العلماء أيضا نشاط في حقل نشر التعليم الاسلامي
وتأسيس الكتاتيب والمدارس في المدن والقرى •

المشكلة الثالثة ، هي المشكلة اللغوية ، نشأت لغة اردو
بإختلاط العناصر المختلفة والاجناس المختلفة من أهل الهند •
وكانت مزيج الثقافات المختلفة ووليدة اللغات الاربعة القديمة
السنسكريتية ، والعربية والفارسية والتركية ، واقتبست في العهد
الاخير من اللغة الانجليزية ، مفردات كانت جارية على السنة
العامة ، وأصبحت هكذا لغة تمثل القومية الهندية خير تمثيل
وأصبحت لغة الجمهور ولغة الثقافة والعلوم والاداب الرفيعة ،
والصحافة والسياسة ، وأصبحت أداة التفاهم بين الولايات
الهندية والمناطق المختلفة التي لكل منها لغة محلية خاصة ،
ويتكلم بها عامة الجمهور في الولايات الشمالية وفي ولاية «بهار»
وفي دهلي وما جاورها من المدن وفي ولاية حيدر آباد وهي اللغة
الوحيدة التي يفهمها أكثر أهل الهند في كل منطقة وولاية ويصدر
فيها صحف ومجلات ، تلي الصحف الانجليزية السيارة في عدد
قراءها والمشاركين فيها •

كانت « اردو » هي اللغة الرسمية (الثانية بعد الانجليزية)
التي تستعمل في المحاكم والادارات والمدارس حتى اقتضت
سياسة الانجليز في عهد حاكم الولاية الشمالية (Sir Antony
Macdonalde) أن يشجعوا اللغة الهندية ويحدثوا تنافسا بين
اللغتين الشقيقتين ، ويبدروا بذرة العداء بين الطائفتين ، فقرر

الحاكم المذكور في ١٨ من أبريل عام ١٩٠٠ م قبول اللغة الهندية ، واستعمالها في المحاكم ، فمن ذلك الحين برزت الى الميدان ، واستقلت الهند وانقسمت سنة ١٩٤٧ م وقرر دستور الجمهورية الهندية كما تقول مادة (٣٤٣) ان اللغة الجمهورية الرسمية هي الهندية في الحروف السنسكريتية ^(١) وقرر الدستور أربع عشرة لغة هي لغات المناطق كلغات الهند المعترف بها دستوريا ، وفيها اردو ، وقرر الدستور أن كل لغة يتكلم بها عدد يعتد به يعترف بها ويمنح أهلها كل تسهيلات لتعليمها لابنائهم إذا طلبوا ذلك واقتنع رئيس الجمهورية بوجود هذا العدد ورغبته في أن هذه اللغة أداة التعليم لابنائهم فتقول مادة (٣٤٧)

« إذا رغب عدد وجيه من أهل ولاية في أن يستعمل لغة يتكلم بها ، وطلب أن تعترف بها حكومة الولاية ، واقتنع رئيس الجمهورية بأن من يطلب ذلك يشكل عددا لا يستهان به ، فلرئيس أن يصدر أمرا بالاعتراف بهذه اللغة رسميًا واستعمالها للمقاصد التي يصرح بها الرئيس » .

ولكنّ الولايات التابعة للمركز وخاصة الولاية الشمالية — التي كانت تعتبر مركزا اللغة اردو فيها تهذبت ورقت — ألغت لغة اردو كمادة دراسية وكأداة التعليم في المرحلة الاعدادية والتحضيرية وقرّرت اللغة الهندية لغة إجبارية وأداة التعليم

(١) كتابة خاصة في حروف خاصة تكتب من الشمال الى اليمين كاللاتينية .

الوحيدة التي يتلقى فيها التلاميذ المواد الدراسية وان كانت لغتهم التي يتكلمون بها ويتكلم بها آبائهم هي لغة أردو، وطبقت وزارة المعارف في ولاية (يوبي) هذا القرار بدقة وشدة ومنعت دراسة لغة أردو في مدارسها الابتدائية قاطبة ، وهكذا أقصيت لغة أردو من المدارس الابتدائية إقصاء تاما .

إن الغاء لغة أردو كمادة دراسية في المدارس وكأداة التعليم كان مؤثرا في ثقافة جميع العناصر والطوائف التي تتكلم بها وفي مستقبلها المنوط باللغة ، ولذلك أثار موقف الحكومة المعادي إزاء هذه اللغة سخطها واعتراضها ، ولكن تأثيره في ثقافة المسلمين ومستقبلهم كان أعظم وأعمق .

وكان هذا التأثير يتجاوز الثقافة الى العقيدة والمستقبل الديني لأن أردو هي الوسيلة الوحيدة التي تربطهم بالثقافة الاسلامية ففيها المكتبة الدينية وحروفها عربية فتسهل بها قراءة القرآن ودراسة اللغة العربية لمن يرغب في هذه الدراسة ، وفيها آدابهم وحضارتهم ، وتاريخهم ، ومعنى اقطاعهم عن هذه اللغة وجهلها الاقطاع عن ثقافتهم وماضيهم ، فاعتبروا بحق الغاء هذه اللغة في المدارس قضاء على قوميتهم وثقافتهم وخصائصهم وكيانهم ، فاحتجوا ضد هذا الموقف الذي تقفه الحكومة نحو هذه اللغة المتترف بها رسميا ، الواسعة الانتشار ، الحية السائدة التي يتكلم بها ملايين من أهل البلاد فأصدرت الحكومة المركزية قرارا يقول :

« ينبغي أن تكون اللغة التي يتكلم بها الطفل والتي هي لغة أبويه أداة التعليم والامتحان في مدرسته ، وإذا كانت لغة الطفل تختلف عن لغة المنطقة واللغة الرسمية ويرغب عدد من التلاميذ لا يقل عن أربعين في المدرسة وعن عشرة في الصف فلا بد من تعيين معلم لتعليم المواد الدراسية في هذه اللغة » .

وعلى هذا الأساس طلب المسلمون والذين يتكلمون لغة أردو طلبا بتقديم التسهيلات لتعليم أطفالهم لغة أردو وتعيين أستاذ لذلك في مواضع كثيرة ، ففي لكهنؤ وحدها قدم أولياء التلاميذ طلبا بذلك عليه توقعات عشرة آلاف من الآباء يطلبون من وزير المعارف تهيئة الأسباب لتعليم أردو وتعيين الاساتذة بهذه المادة في المدارس الابتدائية التي يتعلم فيها أبناءهم وهم حريصون على تعلم أردو ، ولكن كل ذلك لم ينفع ولم يتغير موقف الحكومة وبقيت لغة أردو ملغاة خارجة عن المناهج الدراسية المتبعة في هذه الولايات وكلما تقدم طالب الى مدير مدرسة لطلب تعيين أستاذ لتدريس أردو وتقرير دراستها اعتذر المدير بأن عدد الراغبين في ذلك لا يبلغ العدد المعين في القرار الرسمي مع أنهم يتجاوزون هذا العدد في المجموع .

وبعد كل هذه الاحتجاجات والمحاولات لم ير الناطقون بأردو والمختصون أنها حيلة غير أن يلجأوا الى مادة الدستور رقم (٣٤٧) التي تمنح رئيس الجمهورية اصدار أمر بالاعتراف

بلغة يتكلم بها عدد وجيه من أهل البلاد واستعمالها للمقاصد التي يصرّح بها الرئيس ، فبدأوا يجمعون توقعات الافراد الذين كانوا يتكلمون أردو ويرغبون في أن يدرسها أبناءؤهم وكانت حملة ثقافية منظمة تحت إشراف جمعية ترقية أردو (أنمجن ترقى أردو) شملت مديريات الولاية الشمالية وتأسست لها فروع ومراكز في هذه المديريات والمناطق ، وكانت مع ذلك حملة هادئة تعتمد على الوسائل الادبية وحدها ولم تستعن بوسائل العنف والتهريج والارهاب ، ولا بالأساليب السياسية ونجحت هذه الحملة فوقع مليونان وخمسون ألفا من الرجال البالغين وأكثر من مليونين من غير البالغين يطلبون أن يعترف بأردو كلغة من لغات المناطق في الولايات الشمالية ، وأن يسمح بأن تكون أداة التعليم للاطفال الذين يتكلمون بها ، وأن يطبق قرار الحكومة المركزية لتعيين أستاذ للتعليم في أردو واذا بلغ عدد التلاميذ الراغبين في ذلك العدد المطلوب المعين في القرار .

وتشكل لهذا الغرض وفد وجيه يشتمل على كبار رجال الثقافة من المسلمين والهندوس يزور رئيس الجمهورية الهندية ويقدم هذا الطلب الذي يشتمل على أكثر من مليونين من التوقعات ولعله أكبر طلب يتحلى بتوقعات أكبر عدد من الجمهور يقدم الى رئيس حكومته ، وكان رئيس هذا الوفد الدكتور ذاكر حسين من رجال الثقافة العالميين ومدير جامعة عليكره سابقا وحاكم

ولاية « بهار » حاليا ، وقد زار هذا الوفد رئيس الجمهورية.....
في دهلي الجديدة ، وطلب زيادة على الاعتراف بلغة أردو واستعمالها
في المدارس قبول الطلبات التي تكتب في لغة أردو في محاكم
الولاية الشمالية وادارتها واصدار البلاغات ، والمطبوعات الرسمية
في أردو كذلك ، وتشجيعها واعطاء الجوائز لمؤلفيها وأن تحتضنها
المجامع العلمية الرسمية ، كما كان الوضع في السابق ، وأن تعاد
أردو الى اعتبارها ومكاتها السابقة في دوائر الحكومة ، وتكوّن
هذا الوفد باثني عشر عضوا نصفهم من كبار المثقفين الهندوس .

وقد قابل رئيس الجمهورية هذا الوفد الموقر وأصغى الى
مطالبه وأبدى عنايته لقضيته وعطفه عليها ، ولكن لم يتغير الوضع
ولم يحدث شيء جديد ، يطمئن إليه أصحاب قضية أردو والمثقفون
على مستقبلها ، وظلت — ولا تزال — هذه اللغة مجفوفة مطاردة
في وزارة المعارف وفي المدارس الرسمية ولا يزال أبناء الطوائف
والعناصر التي تتكلمها محرومين ممنوعين من دراستها في المراحل
الابتدائية وبذلك يزدادون بعدا عن ثقافتها وينشأون على جهلها
حتى انقطعت صلتهم عن ثقافتهم القديمة وعن ماضيهم وعن
عقيدتهم وشريعتهم التي يدينون بها حتى بدأ يظهر جيل جديد
لا صلة بينه وبين الاجيال القديمة ينشأ بعيدا عن محيطه الديني
والثقافي ويصعب عليه الاتصال به ان حاول ذلك ، فقد انهدمت
القنطرة التي يعبر عليها الى ثقافته وانقطع الخيط الذي يربطه

بماضية وأسلافه ، مشكلة معقدة طريفة يقابلها المعلمون في بلادهم
الام ومهدهم ، ونذير بين يدي خطر شديد ومستقبل رهيب ، ولا
شك أن الوعي السياسي والقومي سيحل هذه المشكلة ويطبق
الدستور بأمانة ، ويتخلص المسلمون والطوائف الاخرى عن هذه
الازمة التي كانوا في غنى عنها ، وكانت البلاد في حاجة الى ثقة
تسود ونشاط يعم وتعاون يشمل ، ولا يكون ذلك الا اذا اطمأن
كل عنصر من عناصر الجمهورية الهندية الى مستقبله الثقافي
والديني وجرب أنه ليس في الهند الحرية الديمقراطية استعمار
ثقافي ، وليس للغة وان كانت لغة الاكثرية أو لغة الهند الرسمية
أن تنشأ وتسود على حساب اللغات الهندية الاخرى ، وأن تبتلعها
وتقوم على أبقاضها ، فقد كانت حرب التحرير والكفاح الوطني
الموحد على أساس ضمان الحقوق وكفالة الحريات - الدينية
والثقافية - وقد شارك فيها كل عنصر وهو يؤمن بأنه سينال
بعد الاستقلال والحكم الذاتي حرية العقيدة والثقافة ومحيطا
تتحقق فيه أمانه ومطامحه تحققتا لم يكن اليه سبيل في عهد
الاستعمار والعبودية ويعيش كل عزيز مقدس من عقيدة وحضارة
وثقافة وآداب .

المشكلة الرابعة هي المشكلة الاقتصادية ، فما قرره فلسفة
التاريخ وأثبتتها تجارب الامم أن الحالة الاقتصادية لها تأثير كبير
في مستوى عقلية الشعب وصحته ومواهبه وذكائه وطموحه .

فالازمة الاقتصادية والفقر الذي يعانيه الشعب وما ينتجه من سوء التغذية ، والحرمان من الفرص ، واليأس من المستقبل ، وفتور الهمة ، والاعتزال عن الوظائف الكبيرة ، يؤثر في الشعوب تأثيرا عميقا ، وينزلها من مستوى الشعوب الراقية الذكية الطامحة الى مستوى الشعوب المنحطة الخاملة ، وطبقة المنبوذين ، وقد كانت موارد المسلمين المهمة الى عهد الحكومة الانجليزية ، الاقطاعية ، والملاكية ، والوظائف الحكومية ، والتجارات الكبيرة ، وقد ألغيت الملاكية بعد التقسيم ، ولا تخلو هذه الخطوة الجريئة من اصلاح وفوائد للمجتمع الهندي ، أما الوظائف الحكومية فقد بدأ قسط المسلمين منها يقل ويضعف ، حتى أصبحت نسبة ضئيلة تنذر بتطور خطر في أوضاع المسلمين الاقتصادية والاجتماعية ومن اطلع على أعداد المنتخبين للوظائف خصوصا في الجيش والشرطة والوظائف الرئيسية ، التي تطلع في الصحف بين حين وآخر وقارن بينها وبين أعداد الموظفين قبل التقسيم ، اعتقد أن المسلمين قد غادروا هذه البلاد ولم يبق منهم إلا الأميين الذين لا يستحقون هذه الوظائف واستطاع أن يتنبأ بأن المسلمين سيقصون عن الجهاز الاداري في مدة قليلة ، واذا أحيل الموظفون الكبار الذين لا يزالون في وظائفهم منذ عهد الانجليز على المعاش لا يبقى في الحكومة من يمثل أربعين مليونا من المسلمين ، ومما يلقي الضوء على هذا التدهور في نسبة الموظفين المسلمين ما يثار من الاسئلة بعض الاحيان في بعض مجالس التشريع ، وما يظهر

في تقارير الحكومة وبلاغاتها من الاعداد ، نلتقط منها مثالين فقط ، منها ما قيل في مجلس ولاية دهلي التشريعي « أن عدد الموظفين المسلمين في بوليس هذه الولاية كان ١٤٧٠ قبل التقسيم ونيس في البوليس الآن الا ٥٦ موظفا مسلما ، ولم ينتخب الا موظفان مسلمان بعد سنة ١٩٤٧ م » المثال الثاني ما قال وزير الدفاع في أبريل ١٩٥٤ م في خطبة ألقاها في جامعة عليكره ، « أن نسبة المسلمين في الجيش كانت ٣٢ في المائة قبل التقسيم وليس الآن الا اثنتان في المائة » .

ويسكن أن يقاس على ذلك الوظائف المهمة الرئيسية مع أن المسلمين لم يفقدوا ذلك الذكاء وتلك المواهب التي اشتهروا بها في القديم واستحقوا بها ثقة الحكومات ، وتقلد المسؤوليات ، ولا يزال عدد المتعلمين فيهم يزداد ويتضخم والعصر عصر التعليم والثقافة ، وهذا من أسباب انتقال عدد كبير منهم الى باكستان خصوصا الشباب المثقفين الذين يحرزون الشهادات العالية في العلوم والآداب ويشتون نبوغهم وبراعتهم ثم لا ينالون ما يستحقون من المراكز في الحكومة مع أن دستور البلاد قد ساوى بين طبقات الشعب وطوائفه وتكفل تكافؤ الفرص لجميع الطوائف والعناصر في الجمهورية الهندية ، والمساواة بين الحقوق وهو الذي يضمن زوال هذا الوضع وعدم بقاءه لأنه وضع مضاد للدستور ومناف للجمهورية إذ اسرت روحها في طبقات الشعب وتغلغلت في المجتمع وزالت رواسب العهد الماضي .

هذه رؤوس المشكلات التي يعانيها الشعب المسلم الهندي في هذه الفترة التي لا بد منها لكل بلد بقي تحت الحكم الاجنبي مدة طويلة ، ولم يسع الجمهورية إساعة كاملة ولم يتعودها بالمعنى الصحيح ، ولكن هذه الفترة لا تطول لانها غير صالحة للبقاء في هذا العصر المتحرر الجمهوري ، وسيغلب العقل على العاطفة والوعي السياسي على العصبية الطائفية ، والعقلية الضيقة ، حينئذ تنحل هذه المشكلات وينال الشعب الاسلامي كل ما يستحقه من الحرية والكرامة والمساواة كجزء من أجزاء هذا الوطن العزيز وركن من أركان هذه النهضة المباركة ، إذا أثبت جدارته واستقامته وصبره واعتماده على الله ، والله الامر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .



شعب يُقرر ويعاهد الله

((نختم هذا الكتاب بالكلمة التي ألقاها المؤلف في مؤتمر التعليم الاسلامي (الذي انعقد في ٤ و ٥ من يونية عام ١٩٦١ م في كهنؤ تحت رئاسته) في جلسته الاخيرة ، وهي تحدد موقف المسلمين في الهند ومركزهم وتنير الطريق لهم وهي من خير ما يختم به هذا الكتاب)) .

أيها السادة : نحن الآن في الجلسة الاخيرة من جلسات المؤتمر وسترجعون إلى بلادكم ومراكزكم ، وأحرص على أن لا ينفض هذا المجلس إلا وأنتم تحملون رسالة معكم ، ولا تقوموا من هذا المجلس الا بعد ما عاهدتم الله وأخذتم من نفوسكم ميثاقا ترتبطون به في حياتكم ، وإن مستقبلنا يتوقف على هذا الميثاق .

إن لهذا الميثاق جزئين ، أولهما ، أن تؤمن بأن هذه البلاد — الهند — هي بلادنا ووطننا ، وسنعيش فيها كأبناء وحقنا على هذه البلاد لا يقل عن حق أكبر مواطن وأقدم مولود فيها ، وليس لأعظم شخصية في ربوع الهند ، سواء كان رئيس الجمهورية الهندية أو رئيس الوزارة أن يدعي أن حقه على هذه البلاد يزيد على حقنا ، فهذا البلد حبيب الى نفوسنا ونحن حرسه دستوره لا نسمح بخيانة فيه ، أو مؤامرة ضده ، إن كل شبر من أشبار هذه الارض الواسعة الجميلة يحمل ذكرياتنا الخالدة ، ويشهد بعهدا الجميل الزاهر ، ومواهبنا النادرة وإنتاجنا الضخم . لقد

كانت هبتنا لهذه البلاد ونصينا في ترفيها وترقيتها وتزينا فوق نصيب كل شعب حكم هذه البلاد ، لقد ولدت هذه البلاد في عهدنا ولادة جديدة ، ووصلت الى أوج الحضارة والتمدن ، ومن أراد أن يعرف ما نقله المسلمون إلى هذه البلاد من ثمرات الحضارة وتناج العقول وما أضفوا عليها من الجمال والكمال فلي نظر الى ما كانت عليه قبل دخول المسلمين ، ثم يقارن بين ذلك وبين ما تجملت به بعدما استمر الحكم الاسلامي مدة من الزمان وما هي عليه الآن ، فهذه البلاد بلادنا ، إنه وكرنا الذي نأوي إليه ونظير منه وحقنا عليه حق الطائر على عشته ، وعلى روضته التي ولد وعاش فيها يتمتع بأنهارها وأشجارها ويتغنى بأزهارها وأثمارها ، يجلس علي أي غصن شاء ويطير في الاجواء في حرية وانطلاق ومن غير خوف وإشفاق •

فوطنيتنا صادقة ، وحقوقنا المدنية لا تتحدى ولا تناقش ، يجب أن تكون هذه عقيدتكم ، وأن تكونوا من ذلك على ثقة ووضوح ، لا يخالجمكم في ذلك تردد واضطراب ، ولا يساوركم فيه خوف أو ارتياب ، نحن أبناء الهند ، وسنعيش فيها كأبناء وأصحاب البلد ، وسنسهم في تقدمها ورقيتها وتحقيق مشاريعها العمرانية ورفع مكائنها السياسية بكل نشاط وحماسة وبكل رغبة وسرور ، وسنظل محافظين على كرامتها وشرفها وروح دستورها ، وسنقوم بواجبنا وإن تخلف عن أداء الواجب كل

هندي وكل مواطن، فنحن أبناء بررة وقوم أشراف ومواطنون أوفياء ، هذا هو الميثاق الذي أخذناه من نفوسنا ، ونريد أن نجدّه في هذا المجلس .

والشطر الثاني من هذا الميثاق ، أننا عاهدنا أن نعيش في هذه البلاد بكل خصائصنا المليّة وحضارتنا الاسلامية وشعائرننا الدينية وبأخلاقنا الاجتماعية وبشخصيتنا المسلمة ، لا تتخلّى عن شعيرة من شعائرها ، ولا تتنازل عن جزء من أجزائها ، يحرم علينا أن نعيش مجردين عن هذه الخصائص وعن هذه الحضارة وعن هذه الشخصية ، ولا لذّة في الحياة ولا خير فيها بعد ذلك ، فإذا لم يكن لنا أن ننقل عقيدتنا وتراثنا الحضاري إلى أجيالنا وأولادنا ، وأن نعلمهم كما تفرّضه علينا مبادئنا وعقائدنا الاسلامية ، وإذا لم يكن لنا كذلك أن نقرّ عينا باسلاميتهم ونشأتهم الدينية ، فليست هذه الحياة حياة الاشراف الاحرار فضلا عن أن تكون حياة المسلمين الابرار ، إنما هي حياة البهائم والسائمة ، حياة الثيران والحمير والكلاب ، إن الكلب يكفيه أن ينال راتبه من أكل وشرب ، وأن يكون مصونا عن الاعداء ، وأن يكون حرّا في الاتّاج ، وأن ينال شبعه وريته على يد سيده ، وكذلك يكفي الثور أن ينال علفه وأن يكون آمنا في مربطه أو حرّا في غابته ، فإذا تم له ذلك طابت حياته ، وتحققت رغباته ، وكملت حريته ، ولا يفكر في تربية أولاده على أسلوب خاص ، ولا يفكر في عقيدة ينقلها الى أولاده أو يأخذها بها ، حتى اذا منع من ذلك وحرّم

فرصه ووسائله ثار واضطرب وتكدر عيشه •

ولكن الانسان يختلف عن ذلك كل الاختلاف ، فلا يكفيه أن يقطع له من الرزق ، أو يأتيه رزقه رغدا ، ويرتب له غذاؤه وقوته ، ومالا يعيش بغيره ، وأن يحفظ من الاعتداء على النفس والعرض والمال ، إنه يريد أن يضم إلى ذلك حرية تربية أولاده وتعليمهم ، وأن ينقل اليهم عقيدته وعقليته وثقافته وما يؤمن به من مبادئ ، ويتمسك به من أصول ، ويستमित في سبيله من دين ، وأن يرى أولاده وخلفاءه وأفلاذ كبده على الطريق الذي اختاره لنفسه وآثره على غيره ، لا تسلط عليه عقيدة يكفر بها ، ولا ثقافة يعارضها ، لا يملك من أولاده ومستقبلهم وسيرتهم شيئا ، يراهم يرتدئون على دينه وينسلخون عن حضارته ، ويتجردون عن خصائصه ، فلنعاهد الله على أن نعيش عيش الاشراف الاحرار ، عيش بني آدم الذين أكرمهم الله بالانسانية ولا نعيش عيش البهائم الداجنة أو الكلاب المقتناة ، ولا تقتنع بحرية الاكل والشرب ، وضمانة الرواتب وتكافؤ الفرص في قضاء مأرب النفس وتربية الاجسام وتولي الوظائف فحسب ، إننا نرفض هذا الاسلوب من الحياة ، وهذا المنهج من التفكير ، وهذا النوع من الحرية ، وهذا انقدر من الوطنية •

سادتي : إن في هذه البلاد منبوذين ينحدرون من الشعوب التي استعبدها الذين فتحوا هذه البلاد قبل آلاف من السنين واضطروهم إلى أن يعيشوا في ظلم وفقر وضعف وسخرية يتنجس الانسان

اذا مسهم ويعاب اذا جالسهم ، ويعاقب اذا واكلمهم ، ان هؤلاء
 الاشقياء جنوا على أنفسهم يوم دخل هذه البلاد الفاتحون من
 اواسط آسيا جناية يحتملون جريرتها الى هذا اليوم وسيحملونها
 الى قرون وآلاف من السنين ، كان ذلك أنهم آثروا حياة الذل
 على موت الشرف ، إن الشعوب تخطيء مرة وتعاقب لآلاف من
 السنين ، لا نريد أن نرتكب هذا الخطأ ، اننا نعهد على أن
 نعيش في الهند حياة كريمة شريفة ، لاحياة الكلاب ولا حياة
 المنبوذين ، إننا لانعيش فيها حياة العبيد ، إننا أبناء هذه البلاد ،
 لنا من الحقوق والحظوظ ما لغيرنا اننا بناة هذه البلاد ومن مؤسسي
 حضارتها ، وأصحاب الفضل عليها ، وليس لقوة في العالم أن
 تسلبنا هذا الحق الطبيعي ، وهذا الحق الدستوري ، لقد انقضى
 عهد الاستعباد والاستعمار ، وليس لشعب أن يستعبد شعبا
 آخر ، وليس لحضارة أن تقتل حضارة أخرى ، وليس للغة أن
 تقضي على لغة أخرى ، وقد أصبح العالم اليوم أسرة واحدة
 لا يخفى ظلم أو اضطهاد في قطعة أو بقعة لقد استيقظ الضمير
 العالمي فاذا ظلم السود في أفريقيا أو الملونون في أمريكا صرخ
 الضمير العالمي وثار الرأي العام ، إننا نحن المسلمين - بصفة
 خاصة - أسرة عالمية منتشرة في الارض مرتبطة بالعقيدة والدين
 والاخوة الاسلامية ، ولنا إخوان في جميع بقاع الارض يتألمون
 بآلمنا ، إننا سنحارب كل ظلم ، وكل ثورة على الدستور ، اننا
 أمة لا تزال تملك تلك المواهب العظيمة التي خدمت بها الانسانية

وهذه البلاد ، إنما لم نفلس في عقولنا وفي أخلاقنا إن سحابتنا التي
هطلت على الأرض لم تصبح جهاما ، انها لا قحة غنية بالماء
والخصب •

سادتي : ان الانسان كثيرا ما يصاب بضعف أو وهن في قرارة
نفسه ويتصور مشكلة ويتخيلها ، ثم يراها في الخارج ، وقد
يجفل الانسان من ظله ويدعر من خياله ولا حقيقة له ، ولا وجود
في الخارج ، إن قضية التعليم أيها الاخوة سهلة واضحة إذا
واجهتموها بشجاعة وقوة وعزم وصرامة ، فقد نص الدستور أن
لكل طائفة في هذه البلاد أن تعلم أبناءها دينها ، وعقيدتها المختارة ،
وليس للحكومة أن تعطل مؤسسة أو مدرسة أو تقطع عنها المساعدة
على أساس أنها تعلم الدين ، فادفعوا التردد وعاهدوا على أنكم
تعيشون في هذه البلاد حياة الاشراف الاحرار ، حياة المسلمين
بايمانهم وعقيدتهم ، وثقافتهم وحضارتهم وتعليم أولادهم محافظين
على خصائصهم وشخصيتهم ، لقد كان لا بد لكم أن تعاهدوا على
ذلك ما دتم مسلمين ، وتحملون في ذلك كل ما يواجهكم
من صعوبة ومحنة ، ولكن من سعادتنا أن دستور
البلاد يكفل ذلك ويضمن الحقوق المدنية والمساواة لجميع
المواطنين وجميع الطوائف والاديان في هذه الجمهورية العلمانية ،
وأن تقوموا بأعباء تعليم أولادكم التعليم الاسلامي الديني
وتكاليفه ، لان الحكومة لا دين لها ، وأنها لا تستطيع أن تقوم
بتعليم الاديان للطوائف ، وأن تعتبروا ذلك من أهم واجب عليكم ،
وحاجة أشد من حاجة أولادكم الى الطعام ، والكسوة والتعلم

والعلاج ، فان دينكم يحتمه عليكم ويجعلكم مسئولين عنه في الدنيا والآخرة .

إننا أيها الإخوة في هذا الثلث الاخير من الليل الذي تنزل فيه رحمة الله ويجاب الدعاء ، وتصفوا القلوب نعاهد بكل إخلاص أننا سنبقى في هذه البلاد باسلاميتنا وإسلامية أجيالنا القادمة ، ونبذل في هذا السبيل كل رخيص وغال ، ونحمل السراء والضراء ونكون من إحدى الطائفتين اللتين ذكرهما الله تعالى في سورة الأحزاب .

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا » .

ابو الحسن علي الحسيني الندوي



فهارس الكتاب

ويتضمن :

- ١ - فهرست الاعلام
- ٢ - فهرست الكتب والمجلات والصحف
- ٣ - فهرست المواد

« فهرس الاعلام »

- « أ »
- أورنك زيب عالمكير : ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٤
 أنور الله خان : ٧١
 اسداد الله التهانوي : ٨٤
 أنور باشا : ٩٧
 Antony Macdonalde : ١١١
 أبو الحسن البكري : ٣٦
 أشرف علي « مولانا » : ٤٠
 أحمد بن محمد التهانيسيري
 الشيخ : ٤٤
 أبو حيان التوحيدي : ٥
 أحمد الرابع دليلي : ١١
 أمجد الزهاوي : ٨
 أبو عبد الله محمد السوركي :
 ٤٤
 أحمد بن يحيى المغيري البهاري
 « شرف الدين » : ٥٣
 أنور شاه الكشميري العلامة : ٤٢
- « ب »
- بير علي : ٨٤
 بيك « المستر » : ٩٥
 بدر الدين طيب جي : ٤٩
 بشير أحمد الديوبندي « الشيخ » : ٤٢
 Bhagti : ٢٣
- « ت »
- تيمور : ٢٧
- « ث »
- ثناء الله الامر تسري « الشيخ » :
 ١٠٤
- ابراهيم الجبالي : ٧١
 أبو علي القالي : ٦١
 أحمد بن عبد الواحد السرهندي :
 ٥٣ ، ٤٣
 أحمد بن عبد الرحيم ولي الله :
 ٥٣
 أحمد بن عرفان الشهيد : ٥٤ ،
 ٩٢ ، ٤٣
 أحمد خان « سرسيد » : ٦٦ ،
 ٩٤ ، ٧١
 أحمد الله « مولانا » : ٨٤ ، ٩٣
 أحمد علي اللاهوري : ١٠٤
 الأبيوردي « الشاعر » : ٤
 الأصهباني « أبو الفرج » : ٤
 الإسكندر : ٢١
 ابن العميد : ٥
 ابن الجوزي : ٥
 ابن السماك : ٥
 ابن خلدون : ٥
 ابن الأثير : ٥
 ابن النديم : ٣٥
 ابن ماجد : ٦٠
 ابن هشام : ٥
 أكبر : ٢٩
 اسماعيل بن عبد الغني البصري :
 ٥٣ ، ٤٣
 أبو الكلام آزاد « مولانا » : ٤٥ ،
 ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٢

« ج »

- الجاحظ : ٥
 الجامي : ٧٩
 جمال باشا : ٩٧
 الجلبى : ٣٥
 جنكيز خان : ٩٥ ، ٤٧
 جادوناتيه سركار : ٣٣
 جويستان لويون : ٧٥ ، ٢٥
 جون لورنس : ٨٦
 جها نكير : ٢٩
 جواهر لال نهرو : ٣١ ، ٢٧ ، ٢٣

« ح »

- حبيب الرحمن الشيرواني : ٧٤
 الحسن البصري : ٥
 حسين البكرامي « العلامة » : ٧١
 الحريري : ٣٩ ، ٦
 حميد الدين الفراهي : ٧٠ ، ٤٣
 حفظ الرحمن « مولانا » : ١٠١
 حسين احمد المدني : ١٠١ ، ٩٧
 حسين « الشريف » : ٩٧
 حسن بن محمد الصنفاني
 اللاهوري : ٣٦
 حامد بن ابي الحامد الجونيوري : ٣٨

« خ »

- خدا بخش خان : ٧٤
 خالد الشهرزوري الكردي : ٥٣
 خان بهادر شاه : ٨٤
 انخوارزمي : ٦٢
 خليل احمد السهارنفوري : ٤٢

« د »

- داؤد آليسن : ٧٦
 David Opson
 الدمباطي : ٣٦

« ذ »

- الذهبي : ٣٦
 ذاكر حسين « الدكتور » :
 ١١٥ ، ٦٧
 ذكاء الله الدهلوي : ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩
 ذو الفقار علي « الشيخ » : ٤٤

« ر »

- رشيد رضا « العلامة السيد » : ٤٢
 رشيد الدين احمد الكنكوهي :
 ٩٥ ، ٨٤
 رفيع الدين الدهلوي : ٥٣
 رامائن :
 رحمة الله الكيرانوي : ٤٣
 Roberts Lords : ٩٠ ، ٨٦

« ز »

- الزبيدي « مرتضى محمد
 البكرامي » : ٣٩

« س »

- السيوطي : ٣٦
 السرخسي : ٦
 سعيد احمد الاكبر آبادي : ٧٠
 سراج الدين بهادر شاه : ٨٣
 سندرلال : ٨٤
 ستافورد كرييس « سر » : ١٠٢
 Sir Stafford Crips

- سليمان المنصور قوري « القاضي » : ٤٤
- « ش »
- الشافعي : ٦
- شاهجان : ٨ ، ٨٦
- شير شاه السوري : ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٤٨
- شهاب الدين بن حجر المكي : ٥١
- شوكت علي : ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨
- شبلي النعماني القاضي : ٤٤
- شمس الدين التحشي : ٤٧
- « ض »
- الصاحب ابن عباد : ٥ ، ٦
- صديق حسن خان : ٥٥
- صديق حسن بن أولاد حسن
- القنوجي : ٤٠
- صدر الدين الدهلوي : ٤٤
- « ض »
- ضياء الدين البرني : ٤٧
- « ظ »
- ظفر علي خان : ٩٦
- ظاهر الدين بابر التيموري : ٢ ، ٢٦ ، ٢٧
- « غ »
- عبد العزيز الكجراتي « آصف خان » : ٥١
- عبد الرحيم بيرم خان الدهلوي : ٢٦ ، ٥١ ، ٥٢
- عبد الرزان الخوافي : ٥٢
- عبد الرحمن بن خلدون : ٥٢
- عبد القيوم « مولانا » : ٧١
- عبد الرحيم الصادقوري : ٩٣
- عبد القادر الدهيانوي : ٩٥
- عبد الباري الفرنجي محلي : ٩٧
- عبد الرحمن الجامي « الشاعر الصوفي » : ٥٠
- عبد النبي بن عبد الرسول
- الاحمد نكري « الشيخ » : ٣٨
- عبد الحي حسني : ١٦ ، ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٣٦
- عزيز كل « مولانا » : ٩٧
- عبد الله البتالوي : ١٠٤
- عبد الله السندي : ١٠٤
- عنايت احمد الكاكوري « المفتي » : ٩٣
- علاء الدين الخلجي : ٤٧
- علي كريم : ٨٤
- عمر أمير المؤمنين : ٤٤
- عثمان « الشيخ » : ٥٤
- عماد الدين الكيلاني « محمود كاوان » : ٥٠
- عبد المقتدر الكندي « القاضي » : ٤٤
- عبد الحي بن عبد الحليم اللكهنوي
- الشيخ : ٤٠
- علي بن حسام الدين المتقي
- البرهانوري : ٣٦
- علي الطنطاوي : ٣ ، ١٣ ، ٤٨ ، ٤٩
- عبد الرحمن المباركفوري : ٤٢
- عبد العزيز الميمني : ٤٤
- عبد العزيز الدهلوي : ٤٣

علي أكبر أسد الله خاني
« الحسيني » : ٣٨

عبد المنعم النمر : ١٧

علي الهجويري : ٢٠

علي بن شهاب الهمداني الكشميري : ٢٠

« غ »

الغزالي : ٥

غاندي : ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٠

غيث الدين بابن : ٤٧

غلام علي آزاد البلكرامي : ٤٤

« ف »

فتح علي خان « السلطان تيبو » :

٨٢ ، ٨٣ ، ٩٦

فصل حق الخير آبادي : ٩٣

الفيروز بادي : ٤

« ق »

القاضي الفاضل : ٥

القدسسي : ٧٩

« ك »

كبير : ٢٣

كفاية الله « المفتي » : ١٠١

كرامة حسين الكنتوري « القاضي » :

٤٣

كمال الدين حيدر : ٨٩

« ل »

لطف الله العليكرهي : ٩٥

لياقت علي خان « مولانا » : ٨٤

« م »

مظفر حليم الكجراتي : ٤٩

مظفر كريم الدريابادي « المفتي » : ٩٣

محمد اقبال : ٧٦ ، ٧٧ ، ١٠٤

محمد أمين بن عمر عابدين : ٥٤

محمد الياس الدهلوي : ٥٥

محمد جعفر التهانيسيري : ٩٢ ، ٩٣

محمد سجاد البهاري : ١٠١

محمد شفيع اللاهوري : ٩١

محمد ضامن الشهيد : ٨٤

محمد علي « مولانا » : ٦٧ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠

محمد علي المونكري « الشيخ

العالم الرباني » : ٦٨

محمد قاسم التانونوي : ٤٤ ،

٦٣ ، ٨٤

محمد يوسف الدهلوي : ٥٥

محمد علي جناح « المستر » : ١٠١

محمود حسن التونكي : ٤٠ ، ٩٦ ،

٩٧ ، ١٠١

ميلي سن : ٨٩ ، ٩٠

موريس : ٩٥

مير همايون جاد : ٩٤

مهابهارت : ٢٤

الممالك : ٤٥

مناظر احسن الكيلاني « العلامة » :

٤١ ، ٤٤

محمد زكريا الكاندهلوي « الشيخ » :

٤٢

محمد شهاب الدين الفوري : ٢٠

محمود الفزنوي « السلطان » : ٢٠

محمد طاهر الفتني : ٣٦

محمد حسين الجونيوري المحتسب :

٣٨

« ه »

- هنتر الدكتور Hunter. : ٣٢ ،
٩٥ ، ٥٦ ، ٣٣
هولاكو : ٨٥
هنري هملتن توماس : ٩٠
Henry Mead : ٩٨
Horse : ٨٣

« و »

- وحيد أحمد : ٩٧
ولي الله الدهلوي « الشيخ » :
٤٣ ، ٣٩

« ي »

- يوسف « عليه السلام » : ٥٠
ياقوت الرومي : ٦١
يحيى علي العظيم آبادي : ٩٣ ، ٩٢
يحيى بن شرف الدين المنصري
البهاري الامام : ٤٣

« P »

- Pattabhair Sila
Ramyya
Panikkar. K. M. : ٢٢

- محمد اشرف الديانوي : ٤٢
محمود بيكره : ٢٨ ، ٢٩
محمد بك أبو الذهب : ٣٩
محمد اعلي التهانوي « الشيخ » : ٣٨
محب بن عبد الشكور الحنفي
البهاري : ٣٨
معين الدين الاجميري « الشيخ » : ٢٠
محمد اكرم اللاهوري المفتي : ٣٨

« ن »

- الندوي أبو الحسن : ٣ ، ٤ ، ٥ ،
٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ،
١٣ ، ١٩
الندوي سليمان : ١١ ، ٤١ ، ٤٤ ،
٦٣ ، ٧٠
الندوي مسعود : ١١ ، ٤٥
الندوي محمد : ١٢
الندوي اجتباء : ١٢
الندوي معين الدين احمد : ٧٠
نصرت حسين : ٩٧
نجت خان « الجنرال » :
ناصر حسين بن الشيخ حامد
حسين المكتوي : ٧٠
نظام الدين البرهانيوري : ٣٧
N. C. Mehta. I. C. S : ٣٤

فهرس الكتب والمجلات والصحف

الواردة في هذا الكتاب

« ت »

« ا »

تاريخ فيروز شاهي : ٤٧	آئين اكبري : ٢٩
تاريخ كجرات للأصفي : ٤٩	أبجد العلوم : ٤٠
تاج العروس في شرح القاموس : ٣٩	أحدى وأربعون سنة في الهند :
التاج المكلل : ٤٠	٨٧ ، ٨٦
تحفة الاحوذى في شرح سنن	الاحياء : ٥
الترمذي : ٤٢	ازالة الخفاء عن خلافة الخلفاء :
تحفة الهند : ١٠٤	٥٣ ، ٤٣
تحفة اثنا عشرية : ٤٣	ازالة الاوهام : ٤٣
تدوين الحديث : ٤١	اسرار المحبة : ٤٣
تذكرة الموضوعات : ٣٧	الاسلام في الهند
تقصار جنود الاحرار : ٥٥	أصفى الموارد في ترجمة حضرة
التعليق الممجذ : ٤٠	سيدنا خالد : ٥٤
تقرير رولت : ٩٧	اظهار الحق : ٤٢
تكميل الاذهان : ٥٣	الامعان في اقسام القرآن : ٤٣
التوراة : ٤٣	الام
توزك بابري : ٢٨	الانجيل : ٤٣
توزك جهانكيري : ٢٨ ، ٢٩	اوجز المسالك الى شرح موطأ
	الامام مالك : ٤٢

« ث »

« ب »

الثقافة الاسلامية في الهند : ٣٧ ، ٣٥	بذل المجهود في شرح سنن أبي
ثورة الهند الماضية وسياستنا	داوود : ٤٢
المستقبل : ٩٠	البعث الاسلامي « مجلة » : ٥٥
« ج »	برهان « مجلة » : ٧٠
جامع العلوم : ٣٨	البلفة في اصول اللغة : ٤٠
الجامعة « صحيفة اسبوعية » : ٤٥	البيان « مجلة » : ٤٥
جمع الجوامع : ٣٦	

جمهرة البلاغة : ٤٣
جنة المشرق : ٣٠

« ح »

حجة الله البالغة : ٣٩ ، ٥٣
حضارة الهند : ٢٥ ، ٧٥

« د »

الدعوة الإسلامية وتطوراتها في
الهند : ٥٤

دمشوا كرانت كي مهرك : ١٠٩

« ر »

الرائد « صحيفة اسبوعية » : ٥٥

رجال من التاريخ : ٤٨ ، ٤٩

رجال الفكر والدعوة في الاسلام : ٥٣

رد المحتار : ٥٤

رسائل السرهندي : ٤٣

الرسائل البديعة في التربية

وحقائق الشريعة : ٥٣

« ز »

زميندار : ٩٦

« س »

السبع السيارة : ٤٤

السيادة في شرح الوقاية : ٤٠

سل الحسام الهندي لنصرة

مولانا خالد النقشبندي : ٥٤

سيرة ابن هشام : ٦٠

السيرة النبوية : ٤٤

سيرة رحمة للعالمين : ٤٤

« ش »

شعر العجم : ٤٤

« ص »

صيد الخاطر : ٥

الصراط المستقيم : ٤٣

« ض »

الضياء « مجلة شهرية » : ٥٥

« ظ »

ظفر الاماني : ٤٠

« ع »

العباب الزاخر : ٣٦

العقبات : ٥٣

عروج سلطنت انكشيه : ٨٥ ،

٨٨ ، ٨٩

العلم الخفاق من علم الاشتقاق : ٤٠

عوارف المعارف « الثقافة الاسلامية

في الهند » : ١٧ ، ٢٥

عون المعبود في شرح سنن ابي

داوود : ٤٢

« ف »

فتح البيان في تفسير القرآن : ٤٠

الفتاوى الهندية : ٣٧

فتح الملهم في شرح صحيح

مسلم : ٤٢

فقه اللسان : ٤٣

الفاروق : ٤٤

الفهرست لابن النديم : ٣٥

الفوائد البهية : ٤٠

الفوائد في اصول البحر والقواعد : ٦٠

الفوز الكبير في اصول التفسير : ٤٣

فيض الباري : ٤٢

« ق »

قيصر التواريخ : ٨٩

« ن »

- نزهة الخواطر : ١٧ ، ٢٨ ، ٣٦ ،
٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٦ ،
النبي الخاتم : ٤١ ، ٤٤ ،
نصرة الابرار : ٩٥ ،
نظام الاسلام الاقتصادي : ٤١ ،
نظام التعليم والتربية : ٤١ ،
نقوش سليمانى : ٦٣

« هـ »

- الهند الواعية : ٣٣ ،
الهند الفتاة « صحيفة » : ٨٣ ،
الهلل « صحيفة اسبوعية » : ٩٦ ،
الهند تنال الاستقلال : ١٠٢



A

Asurney of indian History
: ٢٣

D

Discovery of india
: ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢

I

indian Musalmans: ٣٣ ، ٥٦ ،
indian Civilisation
and islam : ٣٤

« ك »

- كشاف اصطلاحات الفنون : ٣٨ ،
كنز العمال : ٣٦ ،
كو مرید الانجليزية « مجلة » : ٩٦ ،

« ل »

لسان العرب : ٦٢

« م »

المبسوط : ٥

- مجمع بحار الانوار في غرائب
التنزيل واطائف الاخبار : ٣٦ ،
مسلم الثبوت : ٣٨ ،
مصباح الدجى : ٤٠ ،
مشارق الانوار : ٣٦ ،
مفتاح كنوز السنة : ٤٢ ،
المسند العالي : ٤٩ ،
مقدمة ابن خلدون : ٥ ، ٣٩ ،
معجم المصنفين : ٤١ ،
معارف « مجلة » : ٤١ ، ٧٠ ،
معالم التنزيل : ٥٠ ،
معجم البلدان : ٦١ ،
المنار « مجلة » : ٤٢ ،
منصب الامامة : ٤٣ ، ٥٣ ،
المكتوبات في المعارف الالهية والنكت
الشرعية : ٤٣ ،
Muslim out look : ٧٦ ،
« صحيفة انجليزية »

(١)

الصوفية في الهند وتأثيرهم في المجتمع

تعريب : محمد الحسني

« مقال تاريخي يبحث عن تأثير الدعاة الى الله ، والمربين الروحيين (الذين يسمون غالبا بالصوفية) في الاخلاق والسلوك ، وفصلهم في محاربة الفساد في البلاد ، وتكوين المجتمع الاسلامي الهندي الصالح ، الذي استطاع أن يعيش سبعة قرون في وسط الوثنية البرهمية والملوكية المستبدة ، بصرف النظر عن أساليبهم وتقاليدهم ومن غير موافقة عليها ، والشيخوخ الذين جاءت اسماؤهم في هذا المقال ، تحقق في التاريخ التزامهم للعقيدة الاسلامية الصحيحة وحرصهم على اتباع السنة وغيرتهم على الدين » .

ان طرق التصوف الاساسية المشهورة ظهرت خارج الهند ، ولكنها نالت أكبر قسط من القبول والانتشار ، والازدهار في هذه البلاد بسبب أوضاعها الخاصة وطبيعتها ، ثم نبعت من هذه الطرق والسلاسل فروع هندية الاصل ، واتخذت شكل طرق مستقلة بذاتها ، وبرز فيها أئمة مجتهدون أنشأوا طرقا مختلفة وأسسوها .

وبجانب تلك الطرق الصوفية المشهورة ، (مثل الطريقة

(١) وصلنا هذا الفصل القيم الممتع بعد انتهاء طبع الكتاب ، وكان المؤلف يرغب أن يكون ترتيبه قبل فصل « مراكز العلم والثقافة الاسلامية في الهند » ولما رأينا تعدل تحقيق هذه الرغبة علما أن هذا الفصل يتم موضوعات الكتاب ويعالج ناحية أساسية تتعلق بحياة المسلمين في الهند كانت مغفلة ، رأينا ضرورة الحاق هذا الفصل الى آخر الكتاب .

(الناشر)

القادرية والحبشية والنقشبندية والسهروردية ، التي ترعرعت في الهند وازدهرت ونفقت سوقها (طرق وسلاسل أخرى ، وليدة هذه البلاد فحسب ، وهي تنتمي الى شخصيات نبغت في الهند ودفنت في أرضها ، مثل الطريقة الفردوسية والمدارية ، والقنندرية ، والشطارية والمجددية ، وهي سلاسل نشأت في الهند ، و « صدرت » بعد ذلك الى بلاد أخرى ، وقد استفاد عدد كبير من أهل الحجاز ورجال العالم الاسلامي والعربي من الشيخ علي المتقي صاحب كنز العمال في القرن العاشر ومن الشيخ تاج الدين السنبهلي والشيخ آدم البنوري في القرن الحادي عشر بعد ما هاجروا الى الحجاز واستوطنوه ، وقد أصبحت هذه البلاد (الهند) حاملة لواء التصوف واصلاح الباطن منذ بداية القرن الحادي عشر ، وزعيمها اذ ذاك ، الشيخ أحمد السرهندي ونجله وخليفته العظيم محمد معصوم اللذان أفاد منهما العالم مدة طويلة من الزمن ، وكان خلفاء الشيخ محمد معصوم منتشرين في أقطار أخرى ، كآفغانستان ، وايران ، وتركستان ، وكان الناس يشدون الرحال الى زاوية الشيخ غلام علي الدهلوي (وهو من شيوخ الطريقة المجددية في القرن الثالث عشر) من بلاد بعيدة مثل العراق والشام ومصر والصين والحبشة وبخارا وسمرقند وانتشرت هذه الطريقة بواسطة خليفته الشيخ خالد الشهرزوري في العراق وتركستان والشام وتركيا . ولا تزال باقية فيها .

وفي أوائل القرن الرابع عشر اشتهر الحاج امداد الله المهاجر

المكي بلقب « شيخ العرب والعجم » وأفاد منه كثير من أهل الحجاز والحجاج الوافدين إليه .

وما زال هذا النبراس - نبراس الإصلاح الباطني - مضيئاً في العالم الاسلامي ، بفضل الهند ، ولا تزال طريقة « الحب الالهي » مستمرة باقية فيها ، وهي المرجع العالمي لهذا الفن من أجل بعض رجالاته وأعلامه .

صلة الجمهور بالصوفية والتصوف واقبالهم عليه

ان العهد الاسلامي في الهند بدأ بهؤلاء الصوفية ، وخاصة الشيخ معين الدين الاجميري ، الذي أسس الطريقة الجشتية في هذه البلاد على دعائم قوية بجهاده واخلاصه ، وأقبل عليهم الناس من جميع الطبقات ، والفئات ، يتنافسون في حبهم وصلتهم بهؤلاء المرشدين رجال الله والدعاة اليه باخلاص وصدق وأمانة ونزاهة ، وامتدت في طول البلاد وعرضها شبكة من المراكز الروحية حتى لم يبق بلد أو قرية ذات شأن الا وفيها مركز روحي أو عدة مراكز .

ان الصلة القلبية والروحية وموجة الحب والاجلال التي كانت تغمر الناس نحو هؤلاء الشيوخ والصوفية تتجلى بالاحداث التالية التي نسردها في هذا المكان من غير أن نراعي فيها الترتيب التاريخي .

كان السيد آدم البنوري دفين البقيع (م ١٠٥٣ هـ) يأكل على مائدته كل يوم ألف رجل ، ويمشي في ركابه ألوف من الرجال ومئات من العلماء ولما دخل السيد في لا هور عام

(١٠٥٣ هـ) كان في معيته عشرة آلاف من الاشراف والمشائخ وغيرهم حتى توجس شاهجهان ملك الهند منه خيفة فأرسل اليه ببلغ من المال ثم قال له : « قد فرض الله عليك الحج فعليك بالحجاز » فعرف ايعاز الملك وسافر الى الحرمين حيث مات •

وهذا الشيخ محمد معصوم (م ١٠٧٩ هـ) ابن الشيخ الكبير أحمد السرهندي قد بايعه وتاب على يده تسع مائة ألف من الرجال واستخلف في دعاء الخلق الى الله وارشاد الناس وتربيتهم الدينية سبعة آلاف من الرجال ^(١) •

وكتب سيد احمد خان مؤسس الجامعة الاسلامية في عليكره في كتابه « آثار الصناديد » يذكر الشيخ غلام الدهلوي فقال :

« لا يقل عدد المقيمين في هذه الزاوية عن خمس مائة رجل تقوم الزاوية بنفقاتهم » وهكذا كان الاقبال على المصلح الكبير السيد أحمد الشهيد اقبالا منقطع النظير ، انه لم يمر بلدة الا وتاب عليه وبايعه عدد كبير من الناس حتى ان المرضى في مستشفى بنارس أرسلوا اليه يقولون : « انا رهائن الفراش وأحلاس الدار فلا نستطيع أن نحضر فلو رأى السيد أن يتفضل مرة حتى نتوب على يديه لفعل » وذهب السيد وبايعهم •

وأقام في كلكتة شهرين ، ويقدر أن الذين كانوا يدخلون في البيعة لا يقل عددهم عن ألف نسمة يوميا ، وتستمر البيعة الى

(١) نزهة الخواطر . ج ٥ . للشيخ عبد الحي الحسني •

نصف الليل - وكان من شدة الزحام لا يتمكن من مبايعتهم
واحدا واحدا فكان يمد سبعة أو ثمانية من العمائم والناس
يمسكونها ويتوبون ويعاهدون الله ، وكان هذا دأبه كل يوم سبع
عشرة أو ثماني عشرة مرة .

ان هؤلاء الصوفية كانوا يبائعون الناس على التوحيد
والاخلاص واتباع السنة، والتوبة عن المعاصي، وطاعة الله ورسوله ،
ويحذرون من الفحشاء والمنكر والاخلاق السيئة والظلم والقسوة،
ويرغبونهم في التحلي بالاخلاق الحسنة والتخلي عن الرذائل
(مثل الكبر والحسد والبغضاء والظلم وحب الجاه) وتزكية
النفس واصلاحها ، ويعلمونهم ذكر الله والنصح لعباده والقناعة
والايثار ، وعلاوة على هذه البيعة التي كانت رمز الصلة العميقة
الخاصة بين الشيخ ومريده أنهم كانوا يعظمون الناس دائما
ويحاولون ان يلهبوا فيهم عاطفة الحب لله سبحانه ، والحنين الى
رضاه ، ورغبة شديدة لاصلاح النفس ، وتغيير الحال ، فالى أي
مدى كان تأثير اخلاقهم واخلاصهم ، وتعليمهم وتربيتهم
ومجالسهم في المجتمع والحياة ، تقدم هنا بعض الامثلة التي تلقي
الضوء على هذا الواقع التاريخي .

كتب مؤرخ الهند الشهير القاضي ضياء الدين البرني يذكر
عهد السلطان علاء الدين يقول : « كان شيخ الاسلام نظام الدين
وشيخ الاسلام علاء الدين وشيخ الاسلام ركن الدين من أعلام

التربية الروحية والاصلاح في عهد السلطان علاء الدين ، تنور بهم العالم ، وبايعهم خلق كثير لا يحصون ، وتاب على أيديهم الفسقة والفجرة ، وواظبوا على الصلاة ، وعضوا عليها بالنواجذ ضل حياتهم ونشأ فيهم حب الدين واجلاله ، وصحت توبتهم ، والتزموا العبادات كلها ، وتضاءل حب الدنيا في قلوبهم ، وذلك بتأثير أخلاقهم السامية الكريمة ، وعزوفهم عن الشهوات وترك المآلوفات ، وانتشر الصدق في الناس ببركة عبادتهم وسلوكهم في الحياة ، ونشأ فيهم — بتأثير مكارم أخلاقهم ومجاهداتهم — رغبة في اصلاح أخلاقهم وتغييرها .

وكتب يقول :

« ان السنوات الاخيرة من عهد علاء الدين تمتاز بأن كسدت فيها سوق المنكرات من الخمر والغرام والفسق والفجور والميسر والفحشاء بجميع أنواعها ، ولم تنطق اللسان بهذه الكلمات الا قليلا وأصبحت الكبائر تشبه الكفر في أعين الناس وظل الناس يستحيون من التعامل بالربا والادخار والاكتناز علنا ، وندرت في السوق حوادث الكذب والتطفيف والغش »^(١) .

وكان لهؤلاء المشائخ عناية كبيرة بالاخلاق والسلوك والمعاملات وتأدية الحقوق وقضاء الديون ، وكانوا يوصون من يدخل في بيعتهم بالعناية البالغة بهذه الامور وقد أوصى

(١) فوائد الفواد ص ١٤

الشيخ نظام الدين شيخه فريد الدين كنج شكر أن لا يدخر وسعا في ارضاء الخصوم واصحاب الحقوق وكان عليه ٢٠ جيتل (فلس) لشخص ، كما استعار كتابا من شخص آخر فضاع ذلك الكتاب ، فلما زار دهلي وذهب الى الشخص الاول قال « يبدو أنك قادم من عند المسلمين » ولما زار الشخص الثاني قال « ان هذه الاخلاق ليست الا نتيجة ذلك المكان الذي كنت فيه » .

ان تربية هؤلاء الصوفية والمشائخ ومجالسهم كانت تنشئ في الانسان رغبة في افادة الناس وحرصا على خدمتهم ومساعدتهم .

كان السيد أحمد الشهيد أثناء سفره للحج مع ركب كبير ولع يضيع فرصة لخدمة الناس في هذه الرحلة الطويلة الشاقة ، ان هذه الرحلة كانت عن طريق نهر « كنج » بالسفن وحدث أن وجدوا على ضفة مرزابور سفينة مشحونة بالقطن ، وكان صاحب القطن ينتظر الحمالين ليحملوا ذلك القطن الى مخازنه ، فأمر السيد أصحابه بنقل تلك الحزمات ، فهجم على السفينة مئات من الناس ، وفي دقائق وثمان أفرغوا السفينة وحملوا القطن الى مكانه ، فاعجب الناس بذلك وتهامسوا فيما بينهم قائلين « لم نر كاليوم ، ان هؤلاء ليست لهم معرفة ولا صلة بصاحب القطن ،

ولم يطلبوا الاجر ، وقاموا بهذا العمل لوجه الله ، انهم من أولياء الله من غير شك » (١) •

إن الحديث عن هؤلاء الصوفية والمشايع بأدوارهم التاريخية والترتيب التاريخي لا محل له ههنا ، وهو يحتاج الى مجلد ضخم ، فان سهم هؤلاء المصلحين ومعلمي الاخلاق في تكوين مجتمع صالح واع في الهند (وهي قوة هذه البلاد المعنوية الكبرى ، ومصدر الولاية الصالحين والحكام العادلين في كل عهد ، وهو الذي منح الهند أفرادا أذكاء أكفاء في ظروف دقيقة حرجية جدا) سهم أساسي أكثر من سهم أي واحد من أبناء هذه البلاد وبناتها •

وبصرف النظر عن القرون الوسطى التي تبشرت مادتها الواسعة في تراجم المشايخ نكتفي هنا بذكر مصلح كبير في القرن الثالث عشر وهو السيد أحمد الشهيد وتأثيره الديني والاجتماعي كمثال لهذا التأثير والنفوذ في المجتمع والحياة ، فقد ذكر المؤرخون أنه لما أقام مع أصحابه في كلكتة - في طريقه الى مكة المعظمة - واشتغل هو وبعض أصحابه من العلماء كالمصلح الكبير الشيخ اسماعيل الشهيد بالوعظ والتذكير ، وتقاطر الناس على السيد للبيعة والتوبة عن المعاصي » كان تأثير هذه المواعظ

(١) سيرة السيد أحمد الشهيد ص ٢٤٩

ودخول الناس في الدين واثقيادهم للشرع أن تعطلت تجارة الخمر في كلكته - وهي كبرى مدن الهند ومركز الانجليز - كسدت سوقها واقفرت الخانات ، واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة متعللين بكساد السوق ، وتعطل تجارة الخمر»^(١) .

انها كانت نتيجة أخلاق هؤلاء المصلحين والدعاة والصوفية والمشائخ وروحانيتهم ، أن اهتدى بهم في هذه البلاد الواسعة عدد هائل من الناس ، وتابوا عن المعاصي والمنكرات واتباع الهوى لهم يكن بوسع حكومة أو مؤسسة أو قانون أن يؤثر في هذه المجموعة البشرية الضخمة ويحيطها بسياس من الاخلاق والمبادئ الشريفة لزمن طويل .

كلمة حق عند سلطان جائر

وكان من مآثر هؤلاء المصلحين الروحيين الكبرى أنهم قاوموا أحيانا كثيرة اتجاهات بعض الملوك الخطرة وأنقذوا الدولة والمجتمع من بعض الاخطار الهائلة المحدقة بها ، والتدمير الذي كان يواجهه ويهدده ، وذلك بابداء آرائهم بصراحة ، وانتقاد انتيارات الفاسدة ، وانحراف « البلاط » عن جادة الحق والصواب ، ان تربيتهم وأمثلتهم العملية الحية ألهمت في الناس جذوة الجراءة

(١) ماذا خسر العالم بالانحطاط المسلمين ص ٢٤٠ الطبعة الرابعة

والشجاعة ، والنشاط والطموح ، وتاريخ الهند الاسلامي زاخر
بهذه الامثلة ، ان هؤلاء المشائخ غامروا مرارا بحياتهم وشرفهم ،
وآثروا الموت على الحياة وعملوا بمبدأ « أفضل الجهاد كلمة
حق عند سلطان جائر » كلما دعت اليه الحاجة واقتضته
الظروف .

ونقدم في هذا المكان مثالين من عهد « الملك الجبار » محمد
تغلق ، يدلان على شجاعتهم وصراحتهم واستهانتهم بمظاهر الابهة
والعطرس ، واحتقارهم للقناطير المقنطرة من الذهب والفضة .

« لما مر السلطان محمد تغلق بزاوية الشيخ قطب الدين
منور ، كان شيخا كبيرا في الطريق الجشتية يعيش في عزلة عن
الناس لم يحضر عند السلطان لتحيته فطلبه السلطان في دهلي ،
ولما حضر البلاط ودخل الديوان رأى الامراء والوزراء والحكام
ورجال البلاط واقفين سماطين ، متخشعين مسلحين في هيئة
تنخلع منها القلوب ، وكان معه ولده نور الدين ، وكان حديث
السن لم يزر « بلاط » الملك في حياته ففرع لهذا المنظر الغريب
وامتلا رعبا ، فناداه الشيخ قطب الدين بصوت عال قائلا ولدي
العظمة لله ! يقول نور الدين اني استشعرت في نفسي قوة غريبة
بعد هذا النداء ، وزالت الهيبة من نفسي وذابت ، وبدا الجميع
عندي كأنهم قطيع من ضأن أو معز ، وسأل الملك الشيخ وعاتبه
قائلا « اننا مررنا بزاويتكم فلم تشرفونا بزيارتكم وموعظتكم »

فأجاب الشيخ ان هذا الفقير لا يجدر بمقابلة الملوك ، انه يعيش في عزلة ، ويدعو للملك ولجميع المسلمين فعليكم أن تعذروا في هذا الامر ، وبعد انصرافه قال الملك لوزرائه ، انه صافح كثيرامن الشيوخ والعلماء فكانت أيديهم ترتعش خوفا واشفاقا ، أما هذا الشيخ فما وجدت في كفه لنا وضعفا ، وما رأيت في يده ارتعاشا بل صافحني بقوة وحرارة زائدة واعتزاز نفس .

وقدم اليه الملك مائة ألف « تنكه » « قطعة ذهب » فقال الشيخ سبحان الله ، تكفيني أقتان من أرز ، وسمن بفلس واحد ، ماذا أفعل بهذه الالاف من الروبيات ، ولكن قيل له ان الملك يسخط اذا لم يقبل هذه الهدية ، وينقم منه ، فقبل الشيخ ألفي روبية وقسمها بين اخوانه وأصحابه وذوي الحاجة (١) .

والمثال الثاني للشيخ فخر الدين الرازي ، وكان الشيخ يتحرز من مقابلة الملوك ، وكان يقول انني أرى رأسي مفصولا عن جسمي واقعا على بلاط الملك ، وكان يعني أنه سيقول كلمة حق يؤاخذها عليها الملك ويأمر بضرب عنقه ، فطلبه الملك يوما وقال له عطني ! فقال الشيخ : إكظم الغيظ واملك غضبك وسورة النفس ، فقال الملك أي غضب وسورة نفس تعني ؟ قال سورة السباع ، فاحمر وجه الملك من فورة الغضب ولم يقل شيئا ، ودعا بالسفرة الملوكية ودعاه الملك لتناول الغداء ، وكان يضع بعض اللقمات في

(١) سير الاولياء ص ٢٥٥ - ٢٥٣

فيه ، وتناول الشيخ هذا الطعام بكراهة ، وودعه الملك بعد فراغه (١) .

إن هؤلاء المشائخ و « الصوفية » ضربوا أمثلة رائعة في الشجاعة والصراحة والصدع بالحق ، كما أن الملوك الذين لم يغفروا للعلماء « جريمة » قول الحق سلكوا بالصوفية — في أغلب الاحوال — مسلكا رفيقا ومسحوا لهم بأداء واجبهم الديني ومزاولة نشاطهم الاسلامي ، وقد قام المشائخ بهذا الواجب في العهد الاخير وحافظوا على كرامتهم وغيرتهم وابائهم ، حضر الملك المغولي « شاه عالم » مرة في مجلس الصوفي الكبير والشاعر الشهير الشيخ « ميردود » وكان برجله وجع فمدها قليلا ، فلم يتحمل الشيخ ذلك وقال : ان هذا الامر ينافي آداب المجلس وكرامته فاعتذر الملك وطلب العفو فقال له الشيخ ، اذا كانت بكم علة ، فلم يكن هنالك داع لحضور هذا المجلس (٢) .

الزهد في زخارف الدنيا والاستهانة بمظاهر الجاه

ان الصوفية والشائخ لم يقبلوا مناصب الحكم ، وهدايا الملوك والامراء ، من اراضي واقطاعات وصلات وجرايات ، وامتنعوا عنها دائما ، ونصبوا منارا عاليا للقناعة والزهد والتوكل والمحافظة على عزة النفس وكرامتها ، عاشت بفضلها في المجتمع

(١) سير الاوليا ص ٢٧٢ — ٢٧١ (٢) كل رعنا ص ١٧١

الهندي الفتوة والهمة والطموح والثبات على جادة الحق ،
وحافظوا بذلك على كرامة الانسانية وصانوا عرضها في هذه
السوق السوداء التي تباع فيها النفوس والارواح ببيع السلع ،
وقد تباع بالمناداة و « المزاد العلني » .

لقد كان شعارهم وهتافهم دائما وفي جميع الاحوال ، ما قال
قائل منهم في شعر فارسي :

« لا أحب أن أبيع خرقتي المتواضعة وثيابي البالية برايات
الملوك وأعلام السلاطين ، ولا أرضى بأن أهجر « فقري » حرصا
على مملكة سليمان ، ان هذا الكنز الذي اكتشفته في قلبي بفضل
المجاهدة لا أريد أن أبادله برخاء الملوك وراحتهم وتنعمهم » .

ان تاريخ التصوف في الهند حافل بأمثلة رائعة من الزهد
والقناعة والاعتزاز بالنفس والكرامة والطموح والقناعة والايثار،
لا تخلو من هذه الامثلة طريقة صوفية في هذه البلاد ، وتقدم
هنا عدة أمثلة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وهو عهد
رسخت فيه أقدام المادية في الهند .

« كان الشيخ شمس الدين حبيب الله المعروف بميرزاجان
جانان الدهلوي من شيوخ الطريقة النقشبندية المجددية (م ١١٩٥هـ)
قال له ملك الهند مرة ان الله أعطاني مملكة واسعة فأرجو أن
تقبلوا منها شيئا ، فقال الشيخ : ان الله تعالى قد وصف الدنيا
بالخسّة والهوان فقال « قل متاع الدنيا قليل » أما مملكتكم

فهي ولاية صغيرة من اقليم من أقاليم هذه الدنيا فلا أريد أن أرزأكم في هذا الجزء الصغير ، وقدم اليه مرة الامير آصف جاه وزير الملكة المغولية في الهند عشرين ألف روية فلم يقبلها فقال الامير خذوها وقسموها على أهل الحاجة فقال اني لا أحسن هذا العمل ، فتولوا توزيعه بنفسكم فسينفذ في الطريق فان بقي منه شيء فسينفذ بعد ذلك •

أراد ميرخان أمير ولاية « تونك » أن يفرض راتبا سنويا لزاوية الشيخ غلام علي الدهلوي فكتب اليه الشيخ بيتا معناه :
« نحن لا نهين الفقر والقناعة ، ولا نخدش كرامتها ، قل لميرخان ان الرزق مقدر من عند الله تعالى » •

زار حاكم كبير الحكومة الانجليزية الشيخ فضل الرحمن الكنج مراد آبادي (م ١٣١٣ هـ) وقال وقد أثرت فيه كلمات الشيخ وموعظته البليغة ، اذا قبلتم عينا لكم مرتبا من الحكومة فقال الشيخ ما أصنع ببالكم ، انني أملك من فضل الله سريراو ابريقين من الفخار وجرتين للماء ، ويأتي بعض أصحابنا بالذرة فنصنع منها الخبز ، وتطبخ زوجتي شيئا من الخضراوات نأكل بها ذلك الخبز ، وفي ذلك كفاية •

يروى الاستاذ محب الله أن الامير كلب علي خان حاكم ولاية رامبور ، أبدى رغبته في أن يشرفه الشيخ فسأله الاستاذ المذكور

عما يقدم اليه اذا حضر ، قال أهدي اليه مائة ألف روية ، فذهب
الاستاذ الى مراد آباد وقال للشيخ ان الامير مشتاق لرؤيتكم
ويقدم اليكم مائة ألف روية اذا زرتموه ، والشيخ يتحدث كأنه
لم يسمع شيئا مهما ، ثم قال يا هذا احث التراب على المائة ألف ،
استمع قولتي ، وأنشد بيتا معناه :

« حينما نشاهد كرمه وفضله على هذا القلب ، نجد القلب
أعلى وأعلى من جام جم » (١) .

نشر العلم والثقافة

العلم كان أكبر هم هؤلاء المشائخ وبعيتهم ، انهم حذبوا
عليه وخدموه ، وكان اكثرهم صاحب ذوق أدبي وعلمي رفيع ،
وكان عقيدتهم أنه لا يمكن معرفة الله سبحانه بدون العلم ، وأن
الصوفي الجاهل ألعوبة الشيطان ، ولذلك نراهم لم يستخفوا
للدعوة الى الله النجباء ذوي الكفاءة والاستعداد الا بعد التحصيل
العلمي .

والحقيقة أن الفضل في الحركة التعليمية والنهضة العلمية
في الماضي يرجع الى تشجيع هؤلاء الصوفية والمشائخ اما مباشرة

(١) كأس ملك ايران القديم « جم » الذي يضرب به المثل في
الفلاء والظرافة ، ويحكى انه كان يتراءى فيه العالم .

وأما بواسطة ، وكان القاضي عبد المقتدر الكندي والشيخ أحمد التهانيسري — اللذان انتهت إليهما رئاسة التدريس في الهند — من رجال الشيخ نصير الدين « جراغ دهلي » والمدرس المشهور في القرن الحادي عشر الشيخ لطف الله الكوروي الذي تفقت به سوق الدرس والتدريس الى القرن الثالث عشر كان شيخا في الطريقة الجشتية •

نحن نرى المدرسة والزاوية جنبا الى جنب في أكثر الادوار ، فالزاوية الرشيدية في جونبور ومدرسة الشيخ بير محمد في لكهنؤ ومدرسة الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم في دهلي ، وزاوية الشيخ رشيد أحمد في « كنكوه » أمثلة رائعة للجمع بين التقيف العلمي والتربية الروحية والخلقية •

الكفالة والمؤاساة

ومن مآثر هؤلاء المشائخ وزواياهم أنها كانت مأوى يأوي اليه آلاف من الناس ، ويجدون فيه طعامهم وشرابهم ومرافق حياتهم ، ان هذه المائدة الملوكية الفاخرة ، كانت مائدة عامة يردها الصديق والعدو القريب والبعيد ، والغني والفقير وكانت مائدة الشيخ نظام الدين مشهورة يضرب بها المثل في السعة وكثرة أنواع الطعام واللذة والتأنق •

وكان يحضر زاوية الشيخ سيف الدين السرهندي ألف وأربع مائة رجل يتناولون الطعام على مائدته صباح مساء ، كل حسب رغبته واقتراحه .

أما الشيخ السيد محمد سعيد الانبالوي وهو من رجال القرن الثاني عشر فيكتب عنه مترجمون فيقولون :

« لم يكن عدد المشتغلين في زاويته أقل من خمس مائة نسمة في الزمن الاول وهكذا فقل عن الوافدين اليه والزائرين له » .

زاره مرة روشن الدولة وكان أميراً من أمراء السلطان فرخ سير و قدم ستين ألف روية لبناء زاويته فأمره الشيخ أن يترك هذا المال في مكان ويستريح فانصرف « روشن الدولة » فأرسل الشيخ الى الفقراء ، وأرسل هذا المال الى الايامى والمساكين وأهل الحاجة في « أنباله » و « تهانيسر » و « سرهند » و « بانني بت » حتى لم يبق منه فلس ، فلما أتى روشن الدولة قال له : « لا يبلغ الثواب في بناء العمارة ثواب خدمة ذوي الحاجة ، والفقراء الذين أحصروا في سبيل الله » وصلتته مرة رسائل السلطان محمد فرخ سير والامير روشن الدولة ، والامير عبد الله خان ، وأمر بثلاث مائة ألف روية فوزعها كلها في القرى المجاورة والاشراف الساكنين فيها ^(١) .

(١) نظام التعليم والتربية (الاردو) المجلد الثاني ، للاستاذ مناظر احسن الكيلاني .

وصدق الاستاذ مناظر أحسن الكيلاني اذ قال :

« ان هذه الزوايا وحدها كانت نقطة اتصال بين الاغنياء والفقراء ، وكان منزل هؤلاء الصوفية والمشائخ « بلاطا » يدفع له السلاطين الخراج ، فقد كان يحضر ولي العهد خضر خان عند الشيخ نظام الدين ويستفيد منه ، وهكذا السلطان علاء الدين الذي كان يأتيه الخراج من الهند كلها كان مضطرا الى أن يقدم الخراج الى مكان آخر » •

ان هذه الوحدة والانسجام بين الغني والفقير أعني طبقة الصوفية والمشائخ التي كان يحضرها ويستفيد منها الاغنياء والفقراء على السواء كانت تقضي حاجات الطبقة الفقيرة ، والحقيقة أنه لم يخل دور من ادوار التاريخ الهندي ولا بلد من بلاد الهند الا وقد عمل فيه الصوفية والمشائخ بالحديث النبوي المشهور « تؤخذ من اغنيائهم وترد على فقرائهم » فكان ذلك رحمة بالفقراء والمساكين وذوي الحاجة^(١) •

ملاجىء انسانية : ان تعليم هؤلاء الصوفية ومجالسهم الروحية أنشأت في الناس حب الانسان على اختلاف الديانات والثقافات والسلالات وخدمته ، وايصال النفع اليه ، ومشاركته في الهموم والآلام •

(١) نظام التعليم والتربية ص ٢٢ •

كان شعارهم وعملهم بهذا الحديث النبوي : « الخلق عيال
الله فأحبهم الى الله انفعهم لعياله » كانت قلوبهم فائضة بالرحمة
والمواساة للانسانية كلها ، حدث الشيخ نظام الدين عن نفسه
مرة فقال : يأتيني رجل ويحكي لي قصته ، وفي نفسي من الهم
والالام والتوجع لحاله ما لا يجده هو نفسه (١) .

وقال مرة : لا شيء أغلى وأحب يوم القيامة من المواساة وجبر
القلوب المنكسرة وادخال السرور على أصحابها (٢) .

كانت نتيجة ذلك أن جرحى القلوب والفؤاد كانوا يجدون
بلسما لهمومهم وأحزانهم في هذه الزوايا وملجأ لهم ، ان حجر
عطفهم وحبهم كان مفتوحا لكل من هجره المجتمع أو الاسرة
أو تنكر له الحظ ، وأدبرت عنه السعادة ، ان هؤلاء الذين لم
يقبلهم أبناء أسرهم أو طردهم أولادهم بعض الاحيان كانوا
يقدمون الى هؤلاء الصوفية والمشائخ ويعيشون في أحضانهم وفي
كنفهم ، ويجدون فيه كل ما افتقدوه من راحة البيت وأنس الابعة،
ويزور هذه الزوايا كل رجل مهما كان نسبه أو دينه فيجد فيها
الاسعاف والرغد وخلاصا من هموم القلب وأحزانه وينال فيها
الغذاء والدواء ، والحب والعطف ، والتقدير والاکرام .

لما أرسل الشيخ نظام الدين شيخه الى دهلي قال له :

(١) سير العارفين نسخة خطية . (٢) أيضا ص ٢٨

« ستكون كدوحة وارفة الظلال ، يستريح خلق الله في ظلها » (١) .

والتاريخ يشهد بأنه قد استراح في ظل الوارف الوافدون من دهلي ، ومن انحاء بعيدة سبعين سنة كوامل .

لقد كانت هناك بجهود هؤلاء الصوفية أشجار كثيرة وارفة الظلال في مئات من بلاد الهند استراحت في ظلها القوافل التائهة والمسافرون المتعبون ورجعوا بنشاط جديد وحياة جديدة .



(١) سير الاولياء .

فهرس المواد

٣	تقديم الكتاب للاستاذ علي الطنطاوي
١٤	مقدمة المؤلف
٢٠	دور المسلمين في حضارة الهند
٣٥	تراث العلماء المسلمين العلمي في الهند وعنايتهم باللغة العربية
٤٦	نوابع الشعب الهندي الاسلامي
٥٨	تأثير اللغة العربية في اللغات الهندية
٦٤	مراكز العلم والثقافة الاسلامية في الهند
٧٥	المسلمون في الهند شعب ممتاز
٨٢	الدور الذي قام به المسلمون في تحرير الهند
١٠٣	مشكلات الشعب الاسلامي الهندي
١٢١	شعب يقرر ويعاهد الله
١٣٧	الصوفية في الهند وتأثيرهم في المجتمع
١٢٢	الفهارس
١٢٩	فهرس الاعلام
١٣٤	فهرس الكتب والصحف والمجلات

تم طبع هذا الكتاب بحمد الله

في ١ رمضان ١٣٨١

٥ شباط ١٩٦٢

الكتاب التالي
بين التصوف والحياة

للعالم الهندي الكبير الشيخ عبد الباري الندوي

استاذ الفلسفة الحديثة في الجامعة العثمانية بحيدر آباد سابقاً

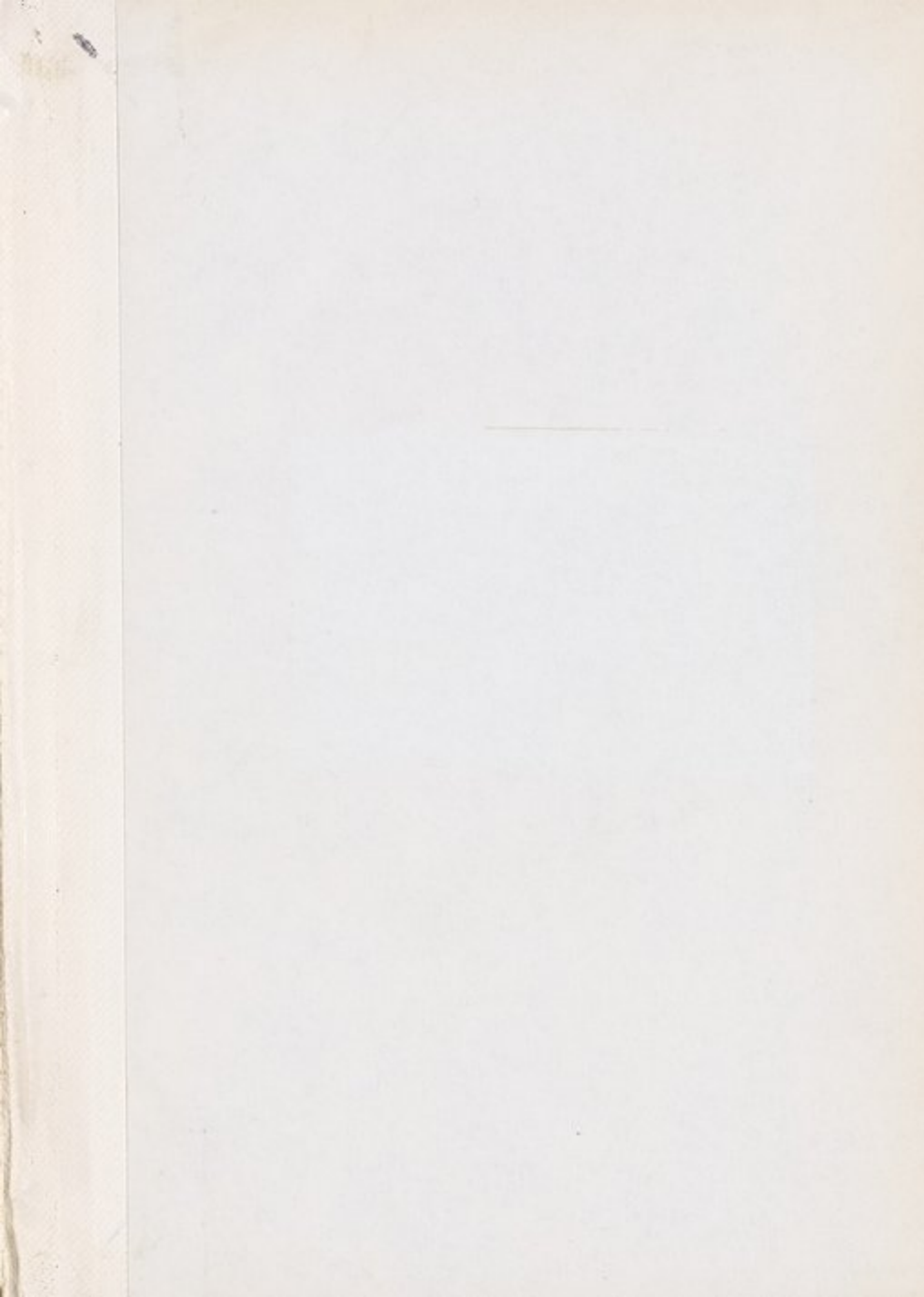
قدم له

الاستاذ أبو الحسن علي الحسن الندي

صورة عن المؤلف والكتاب

..... وأبو الحسن استاذ في فنون كثيرة ، في الكتابة ، وفي البحث ، وفي التاريخ ، وفي الدعوة ، وفي الفقه والنزاهة والتخلق بأخلاق العلماء ، وهو فرع كرم من أصل كريم ، أبوه مؤرخ الاسلام في الهند ، واخوه من صدور الاطباء والعلماء ، وأسرته أسرة شرف وعلم ، وهو أحد اركان ندوة العلماء ، واليها نسبته . وندوة العلماء ، أجل من أن نمر بها مرا ، ولا بد من وقفة عليها ، لنعرف بها من لا يعرفها ، من القراء

..... ذلك يدفعني الى أن أقدم الى اخواني في الشرق العربي هذا الكتاب ، يتحدث عن الهند وعن اخوانهم فيها قديما وحديثا ، ويتناول هذا الحديث نواحي شتى في الحياة العلمية والاجتماعية والدينية ، وعما أضافه المسلمون الى ثروة الهند منذ دخولها وما أدخلوا عليها من اصلاحات وتجديدات في مختلف نواحي الحياة ، وعما أنتجه المسلمون في الهند في العلوم الاسلامية وما زادوا الى تراثها ، ومن نبغ فيها من العلماء الكبار والمؤلفين العظام ، وعن مظاهر نشاط المسلمين العلمي والديني ، ومراكزه الكبيرة في العصر الحاضر ، وعن خصائص هذا الشعب وطبيعته وشخصيته وعن ماضيه وحاضره ، وعن قضاياها الرئيسية ومشكلاته ، عسى أن يكون حلقة - ظلت مفقودة زمنا طويلا - في سلسلة تنوير الراي العام والتزويد بالمعلومات الصحيحة وفي سبيل التعارف الاسلامي



LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

